في الثـــورة والثقافـــة المعطـــوبـــة

ليدرز العربية

Leaders

العدد 13 • السعر : 2،5 د.ت • جانفي 2017

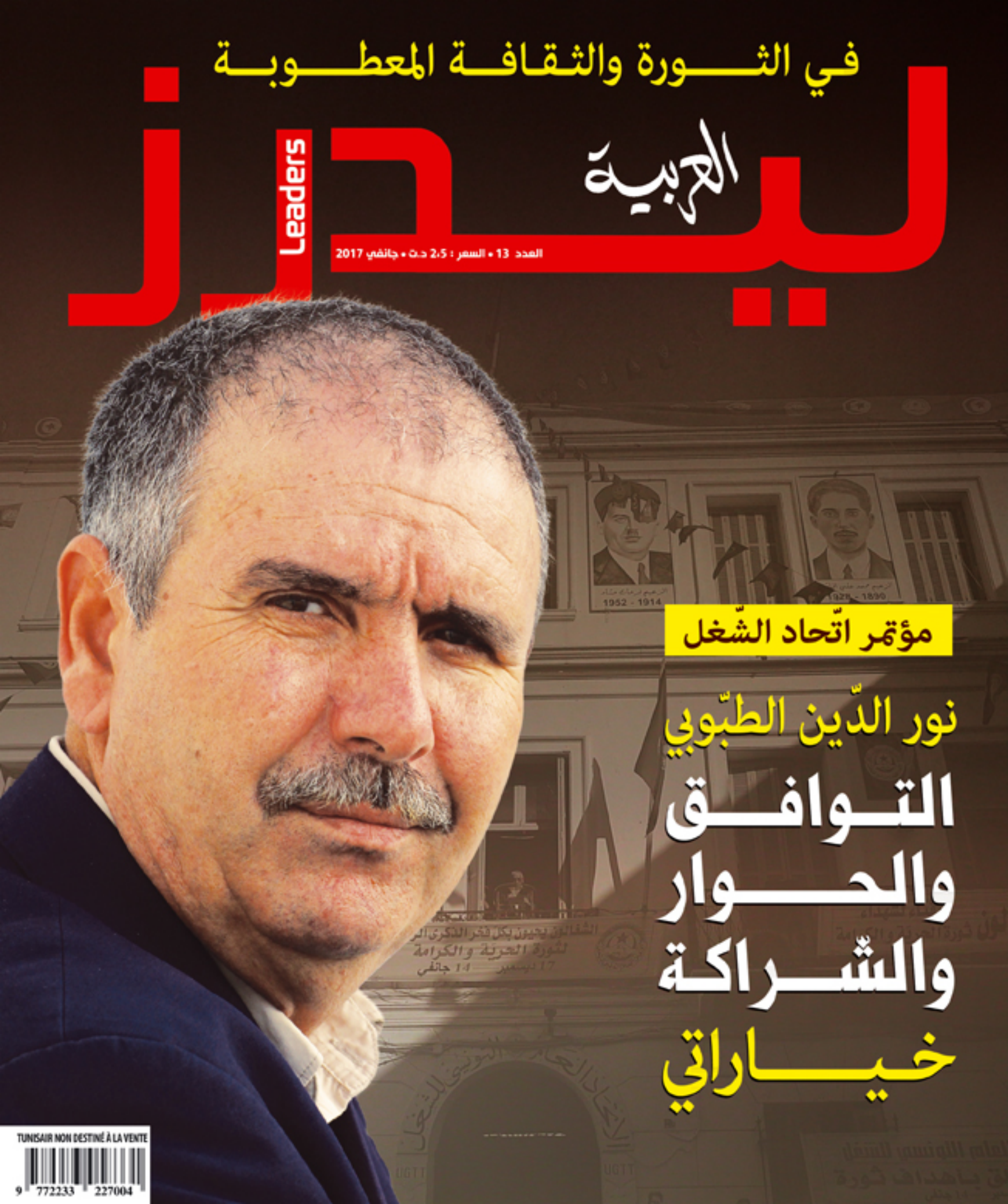

مؤتمر اتّحاد الشّغل

نور الدّين الطبّوبي

التـــوافـــق والحـــوار والشّـــراكـة خيـــاراتي

TUNISAIR NON DESTINÉ À LA VENTE

9 772233 227004

Les produits et services peuvent varier selon les vols, le type de classe et l'itinéraire. Pour plus d'informations, veuillez contacter votre agence de voyage local, visiter le site emirates.com/tn ou appeler Emirates au 71109099

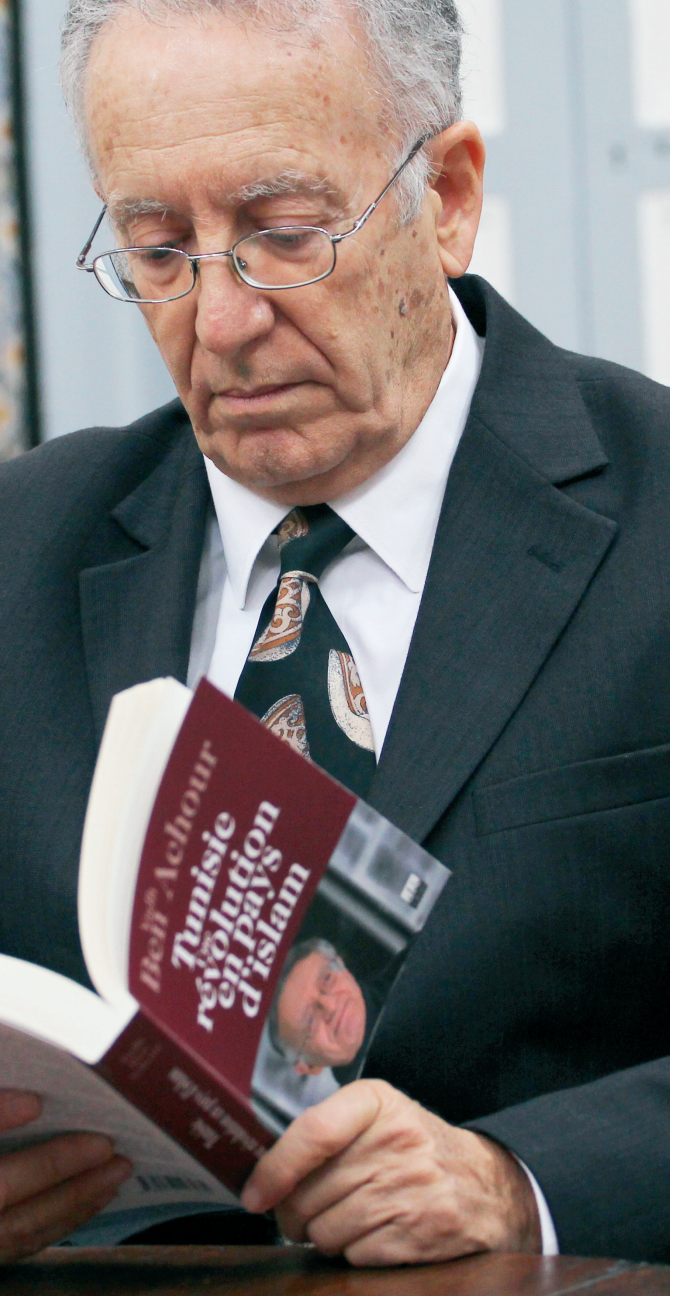

الفـهـرس

الافتتاحيّة

• **إدارتنا المعتلّة** 4
عبد الحفيظ الهرقام

شؤون وطنيّة

• **الباجي قايد السّبسي: أسلوبه وشخصيّته ورؤاه** 12

• **اتّحاد الشّغل: مؤتمر جديد...وتحدّيات أكبر** 17

• **نور الدّين الطبّوبي: نقابي كلاسيكي بدون لون سياسي وإيديولوجي** 18
منذر بالضياقي

• **في الثّورة والثقافة المعطوبة** 22
احميدة النّيفر

• **عياض ابن عاشور في كتابه الجديد: الشّاهد والمؤرّخ** 24
رشيد خشانة

• **الديمقراطيّة بين صفعتين** 26
عامر بوعزّة

• **الإرهابيّون وعودتهم المحتملة :الرّسائل المطلوبة** 28
سامية دولة

اقتصاد

• **قطـــاع القوارص في تونس : وفرة في الإنتاج ونقص في التّرويج** 30
خالد الشّابي

شؤون عربية

• **المنطقة المغاربيّة والحروب على «داعش» : تداعيات وتنبّؤات** 36
محمّد ابراهيم الحصايري

شؤون دولية

• **الحرب ضدّ داعش وحلم الأكراد بالاستقلال** 38
حنان زبيس

ليدرز العربية Leaders

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير
احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي• عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر• المختار المستيسر • العادل كمّون• العادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية• عبد الدايم الصماري • سميرة شتيلة • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحمد الشارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور
ليـــدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
جيهان واز • إيمان الشنوفي • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
سامباكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71

www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

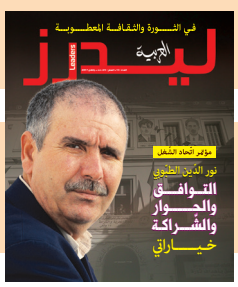

متوفرّة على رحـــلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

ثقافة وفنون
• إنّما الأمم الكتاب ما بقيتْ 46
الحبيب الدريدي

أعلام تونسيّون
• أحمد بن صالح رجُل الحيويّة والعزم 50
الشاذلي القليبي
• عزيزة عثمانة (1606 ـ 1669) : المحسنة والمثقّفة 54
عبد الحفيظ الهرقام
• تحيّة إلى روح محمّد المغربي 58
عبد الحفيظ الهرقام

من التّاريخ
• قلم المعزّ لدين اللّه الفاطمي 60
أبو عطف

إصدارات
• محمّد قلبي : الحربوشة الأخيرة 63

قصّة قصيرة
• قفص المدخّنين 66
علي اللواتي

مجتمع
• يوميات مواطن عيّاش : عام مشى وعام جاء... 74
عادل الأحمر

بطاقة
• عنق الزّجاجة 76
الصّحبي الوهايبي

إدارتنا المعتلّة

بقلم عبد الحفيظ العرقام

لطالما باهى التونسيون بإدارتهم، على الرغم من كلّ نقائصها وعيوبها، فهي التي ساهمت غداة الاستقلال في بناء الدولة وتولّت لعقود متتالية صياغة السياسات العامّة وسهرت على وضعها موضع التنفيذ، ممّا حقّق للبلاد مكاسب ذات بال في ميادين عدّة.. وهي نفسها التي ضمنت استمرارية الدولة بعد انهيار النظام في 14 جانفي 2011 فلم تسقط صريعة الفوضى والانفلات الأمني، بل ظلّت تسدي خدماتها للعموم دون أن يثبط همم إطاراتها وأعوانها ما استهدفها آنذاك من حملات شيطنة وتشكيك في مدى نزاهتها وشفافيتها.

غير أنّ السنين الأخيرة أبانت علامات اعتلال الإدارة التونسية واهتزاز صورتها في نظر الرأي العام، إذ يحدّثك المواطن العادي ويحدّثك الخبير بشؤونها عن تراجع أدائها وتدنّي جودة خدماتها، بسبب تفشّي مظاهر التسيّب والتغيّب وضمور الوازع المهني في صفوف جانب من العاملين فيها، علاوة على تضخّم غير مسبوق في حجمها، مصدره انتدابات بمئات الآلاف لم تخضع لمقاييس الكفاءة، فرضتها ضغوط اجتماعية حادّة وعمليات توظيف وإعادة إدماج عدد لا يستهان به من المنتفعين بالعفو التشريعي العامّ. وممّا زاد حالة الإدارة تعكّرا بلوغ إطارات سامية ذات كفاءة عالية وخبرة واسعة سنّ التقاعد دون أن تُرسم خطط تؤهّل جيلا جديدا لتسلّم مشعل القيادة والتأطير من الجيل السابق. يضاف إلى ذلك ما علق بالإدارة من ترسّبات البيروقراطية القاتلة ومن شوائب شتّى، نلحظها اليوم في غياب النظرة الاستشرافية وانعدام روح المبادرة لدى البعض ممّن يمسكون بمقاليد التسيير في الوزارات والمؤسسات العموميّة. ولعلّ تردّدهم أحيانا في اتّخاذ القرار بالسرعة المطلوبة راجع إلى الخوف الرهيب من سيف مسلّط على رقابهم، ألا وهو الفصل 96 من المجلّة الجزائية، وقد رأوا كيف أحيل بمقتضى أحكامه مسؤولون وموظّفون على القضاء منذ قيام الثورة في قضايا بتهم إلحاق الضرر بالإدارة أو تحقيق منفعة شخصية أو منفعة للغير .

ولمّا كانت الإدارة التونسية مصابة بهذا الوهن الجليّ ومثقلة بأعباء جيش من الموظّفين يفتقر العديد منهم إلى الدراية اللازمة والمؤهلات المطلوبة للاضطلاع بمسؤولياتهم، تتبادر إلى الأذهان أسئلة حائرة : هل بمقدور الإدارة أن تحمل اليوم الطموحات الوطنية الكبرى في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ؟ هل يتوفّر فيها العدد الكافي من الإطارات العليا المقتدرة الجديرة بأن تتبوّأ مناصب هامّة ومواقع متقدّمة في الوزارات والولايات والمؤسسات العمومية، إليها يوكل تصوّر وإنجاز مشاريع وخطط في مجالات استراتيجية عديدة ؟ هل من اليسير تحويل الاستثمارات الموعود بها خلال مؤتمر تونس 2020 الأخير إلى برامج تنجَز في الآجال المحدّدة لها وبالمواصفات اللازمة مع ما يتطلبّه كلّ ذلك من حذق لفنيات التفاوض مع المانحين وقدرة على إعداد المشاريع ومتابعة تنفيذها؟ هل لتونس اليوم من القدرات البشريّة المؤهّلة والواعية ما يجعلها تقبل بأوفر حظوظ النجاح على النهوض بالمرفق العمومي تكريسا للعدالة الاجتماعية وتجويدا للخدمات في قطاعات بالغة الأهمية مثل التعليم والصحّة والنقل؟

لاخفاء أنّ الإدارة التونسيّة هي اليوم محلّ انتقاد المتعاملين معها من التونسيين والأجانب وأضحت معالجة أوضاعها المتردّية من أوكد الأولويات التي ينبغي أن تنكبّ عليها الحكومة بقدر وافر من الجديّة والصرامة، من خلال برنامج متعدّد الأبعاد يمكن أن يقوم على المحاور التالية :

- تطوير عمل الإدارة مركزيّا وجهويّا ومحليّا وتوفير أفضل الظروف لنقل السلط إلى الجهات في إطار سياسة اللامركزية واللامحورية.
- تعصير نظم التصرّف في مصالحها من خلال تعميم برنامج الحوكمة الالكترونية.
- إعداد خطّة لإعادة توزيع الموارد البشرية بين الوزارات والمؤسسات والمصالح المركزية والجهوية والمحلية ، بما يساهم في تحسين مردودية الإدارة ويسمح بتسديد النقص في عدد من الاختصاصات دون اللجوء إلى انتدابات جديدة.
- الارتقاء بنظام التكوين في المدرسة الوطنية للإدارة وإقامة دورات رسكلة وتكوين مستمرّ لفائدة الإطارات والأعوان لرفع مستواهم والنهوض ببرامج تدريس تقنيات الإدارة والتصرّف في الموارد الماليّة والبشرية صلب معاهد التعليم العالي لا سيّما في مجالات اللغات والاتصال وتكنولوجيات المعلومات والتسيير والقيادة وخطط التنمية الإدارية.
- تشجيع خريجي المدارس العليا من تونس وخارجها والكفاءات المتميّزة في القطاع الخاصّ على العمل في القطاع العمومي، وإقرار الحوافز الضرورية لاستقطابهم.
- إحداث خلايا تفكير واستشراف في الوزارات تساعد على تحديد التوجّهات والخيارات المستقبلية، وفق المتغيّرات المرتقبة في ميادين اختصاصها، وطنيّا وعالميّا.

إنّ خروج تونس من نفق أزمتها يتوقّف إلى حدّ كبير على فعاليّة إدارتها وجودة خدماتها وكفاءة إطارتها وأعوانها واعتمادها الحوكمة الرشيدة قاعدة لسلوكها ومنهاجا لعملها، فالإدارة هي بلا منازع عصب التنمية وقاطرة الإصلاح الشامل الذي يتطلّع إليه التونسيّون كافّة.

ع.ه

Tunisie Telecom

La vie est émotions

TUNISIE TELECOM

Partenaire plébiscité par les Entreprises performantes

www.tunisietelecom.tn

AVEC VOTRE PLAN HORIZON, FRUCTIFIEZ VOTRE ARGENT EN TOUTE SÉRÉNITÉ

Rendement 2014

4,96%

net de frais de gestion

- Placement à **100 % Garanti**
  Vous bénéficiez d'un Taux Minimum GARANTI à vie
- Placement à **100 % Gagnant**
  Votre argent est fructifié à un taux de rendement performant
  Vous bénéficiez d'un cadre fiscal très attrayant
- Placement à **100 % Souple**
  Vous êtes libre de changer les montants et les fréquences de vos versements.
  Mieux encore votre argent reste disponible à tout moment.

... Vous faites le bon choix !

Assurances SALIM, l'assurance qui respecte ses engagements !

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Groupe banque de l'habitat

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5- Centre Urbain Nord - Tunis 1003
Tél.: (+216) 71 184 200 - Fax : (+216) 71 184 284
E-mail : commercial@salim-ins.com
Site Web : www.salim-ins.com

زيـــــارة في توقيـــت مهـــمّ

توقيت الزيارة الرسميّة التي من المنتظر أن يؤديّها الرئيس الباجي قايد السبسي إلى إيطاليا يومي 8 و9 فيفري القادم ليس أمرا اعتباطيّا، بل هو توقيت مهمّ يتزامن مع دور سياسي ودبلوماسي بارز يضطلع به هذا البلد الأوروبي هذه السنة على الصعيد الدولي. فبداية من غرّة جانفي 2017 أصبحت إيطاليا عضوا بمجلس الأمن وتتأهبّ لاحتضان قمّة الدول السبع الكبرى G7 في مدينة تاورمينا بصقليّة في شهر ماي المقبل وبذلك ستتسلّم رئاسة هذه المجموعة. كما ستشهد السنة الجارية الاحتفال بالذكرى الستين لمعاهدة روما التي أنشئت بمقتضاها المجموعة الاقتصادية الأوروبية.

يوسف الشّاهد في واشنطن؟

لا تستبعد مصادر ليدرز أن يزور رئيس الحكومة يوسف الشّاهد واشنطن في الرّبيع القادم لربط الصّلة مع الإدارة الأمريكيّة الجديدة برئاسة دونالد ترامب وفتح صفحة جديدة من التّفاوض مع صندوق النّقد والبنك الدوليْن، وذلك بعد زيارته المرتقبة إلى ألمانيا وجولته الإفريقيّة التي ستقوده إلى السّودان والنّيجر.

ما ينتظر إلياس المنكبي
على رأس الخطوط الجويّة التونسيّة

ينتظر من إلياس المنكبي الذي عيّن في الأيّام الأخيرة رئيسا مديرا عامّا لشركة الخطوط الجويّة التونسية أن يواصل الجهود الكبيرة التي بذلتها زميلته السابقة سارّة بالرجب لدعم النتائج المحقّقة ووضع الناقلة الوطنية على درب الإصلاح والتطوير. توصّلت سارّة بالرجب المشهود لها بالكفاءة أن تفرض الانضباط داخل الشركة وأن تساهم في تحسين أوضاعها الماليّة، مع الحرص على حماية حقوق العاملين فيها، ممّا جعل أداءها محلّ تقديرهم وامتنانهم عند مبارحتها هذه المؤسسة لتلتحق بمنصبها الجديد، في مهمّة مستعجلة لا تقلّ شأنا على رأس الشركة التونسية للسكك الحديدية .

إلياس المنكبي الذي سيسعى إلى استكمال المسيرة طيّار، تدرّج في سلّم الرتب في الجيش الوطني حتّى بلغ رتبة عميد، وهو ليس أوّل ضابط سام يضطلع بهذه المسؤولية، إذ سبق للواء المرحوم عبد الحميد الفهري أن عيّن في نوفمبر 1992 رئيسا مديرا عامّا للشركة.

إلياس المنكبي الذي له تجربة في تسيير مؤسسة عمومية وهي الشركة الوطنية لحماية النباتات مدعوّ اليوم إلى الاستجابة إلى ما يتطلّع إليه صغار المساهمين في رأس مال الخطوط الجويّة التونسية من الحصول على أرباح مقابل ما اقتنوه من أسهم للشركة في البورصة. والجدير بالذكر أنّ حركة نقل المسافرين عبر خطوط الناقلة الوطنية تطوّرت بنسبة 9 بالمائة، كما إزدادت نسبة ملء المقاعد حيث بلغت 70,4 بالمائة سنة 2016 مقابل 68,1 بالمائة سنة 2015.

وقد تجلّى من خلال عرض حصيلة الشركة لسنة 2015 على الجلسة العامة المنعقدة في 29 ديسمبر الماضي انخفاض في خسائر الاستغلال بمبلغ قدره 50,1 مليون دينار وتحسّن نشاط الشركة التونسية للتموين وتطوّر الشبكة في اتجاه أفريقيا (نيامي) وأوروبا (موسكو وبراغ) وأمريكا الشمالية (مونتريال).

مراجعة المجلّة الجزائية

شرعت وزارة العدل في مراجعة المجلّة الجزائية ومجلّة الإجراءات الجزائية. ولهذا الغرض تمّ إحياء لجنة المراجعة التي اندثرت منذ مدّة فوقع تفعيلها من جديد وتعيين الأستاذ نور الدّين الغزواني على رأسها وتكوين عشرة فرق عمل متخصّصة. كان التّصوّر الأوّل يتمثّل في إعادة صياغة المجلّة بمجملها وهو ما قد يستغرق عشر سنين. ولكنّ الخيار الذي أقرّه وزيرالعدل غازي الجريبي توجّه نحو الاهتمام بالعاجل والضروري وخاصّة الفصول التي لم تعد تتلاءم مع الدّستور الجديد ولا مع الالتزامات الدوليّة.

وذكّر الوزير بأنّ المجلاّت القانونيّة التي ورثتها تونس تمّ تصوّرها في نهاية القرن التاسع عشر واعتمادها مع بدايات القرن العشرين وهي في حاجة اليوم إلى المراجعة برؤية تونسيّة صميمة تستوعب الواقع الجديد. وقال إنّه لا يمكن لمؤسّسات قضائيّة أن تقف حائلا أمام سرعة إنجاز القضاء ولا لعدد من النّصوص الحاليّة أن تعيق البتّ في القضايا بالسّرعة المطلوبة.

ناصر الحميدي
سفير قطر بتونس، للمرّة الثانية

للمرّة الثانية، يعود ناصر الحميدي إلى تونس سفيرا لدولة قطر معتمدا لديها.وكان قد شغل هذا المنصب لثماني سنوات قبل تعيينه مديرا لديوان وزير الخارجية القطري في سنة 2014، كما تمّت في الأثناء ترقيته إلى درجة وزير. وبقي في خطّته تلك إلى حدود تعيينه سفيرا في تونس مرة اخرى.

NOUVEAU

OUVERTURE
DE 2 NOUVELLES
AGENCES BT

Hors Normes (2016)

NABEUL
EL MREZGA
Cité El WAFA, Route de Hammamet - 8000 Nabeul
Tél : 70 025 125 / Fax : 70 025 525

MONASTIR
FOIRE
Cité El AGBA, Route de Khénis - 5000 Monastir
Tél : 70 025 126 / Fax : 70 025 526

Nous réaliserons vos vœux

www.bt.com.tn

Centre d'appels Banque de Tunisie
Email : callcenter@bt.com.tn
81/101212

البنك التونسي
BANQUE DE TUNISIE

www.atb.tn

#BIBANE_ELKHIR

Epargne الخـــيـــر

مع إدخار الخيـــر ... تـتحلّى بـيبـان الخير

Crédit SAKAN

Avec un peu d'épargne, réalisez vos rêves et concrétisez vos projets… Fructueuse, disponible et généreuse… Epargne El khir vous donne accès au crédit qui vous convient, aux meilleures conditions.

سبّق الخير... تلقى الخير بزايد.

ATB

البنك العربي لتونس

Des professionnels à l'écoute

ATB TUNISIE

FCA!

متابعة دقيقة لكلّ الشّكاوى

فوجئَ وزير العدل غازي الجريبي بعد تسلّم مهامّه بغياب ترقيم للشّكاوى الواردة على الوزارة والمحالة على التّفقّديّة العامّة. وقد أذن بالشّروع في ذلك وموافاته بإحصائيّات دقيقة تضبط التعهّد حسب تاريخ الإيداع ونتيجته. كما طلب الوزير مراجعة القائمة الكاملة للشّكاوى الواردة خلال الخمس سنوات الأخيرة.

وفي ما يتعلّق بالمصالح السّجنيّة بالتّحديد، بلغ عدد الشّكاوى التي تمّ تلقّيها 709 شكاية تخصّ 63 بالمائة منها سوء معاملة وقد ثبتت المسؤوليّة في 35 بالمائة من الحالات. وقد أكّد الوزير أن كلّ الشّكاوى تأخذ مسارها في التّفقّديّة أو البحث التّحقيقي وهو يحرص على ذلك باهتمام كبير.

ولم يخف الوزير أنّ المنظومة الإعلاميّة لمجمل مصالح الوزارة ليست بالدقّة والنّجاعة المطلوبتين وقد أذن بالشّروع في تأهيلها.

جائزة أبو القاسم الشابي للشاعر البحريني قاسم حدّاد

فاز الشاعر البحريني قاسم حدّاد بجائزة أبو القاسم الشابي لسنة 2016 التي يسندها سنويا البنك التونسي منذ سنة 1984. ويرأس لجنة تحكيم الجائزة الأستاذ عز الدين المدني فيما تبلغ مكافأتها المالية 20 ألف دينار. و قد تم الإعلان عن إسناد الجائزة بحضور وزير الثقافة محمد زين العابدين والرئيس المدير العام للبنك الحبيب بن سعد وعدد من رجالات الثقافة والفنون والآداب وإطارات البنك.

تدارك سريع يتأكّد

صارح وزير الدّاخليّة، الهادي مجدوب نوّاب الشّعب بأنّه بقدر ما سجّلت قوات الأمن الوطني من نجاحات في مقاومة الإرهاب والجريمة فإنّها تشكو تأخّرا كبيرا في الجوانب التّقنية، مشيرا إلى أنّ المنظومة الاتّصاليّة بقيت إلى حدّ الآن تناظريّة ولم تتحوّل إلى الأنظمة الرّقميّة وأنّ كاميراهات المراقبة لا تزال في بداية تركيزها ضمن برنامج يغطّي 400 نقطة بتونس الكبرى من خلال 1200 كاميرا بحساب ثلاثة أجهزة لكلّ نقطة.

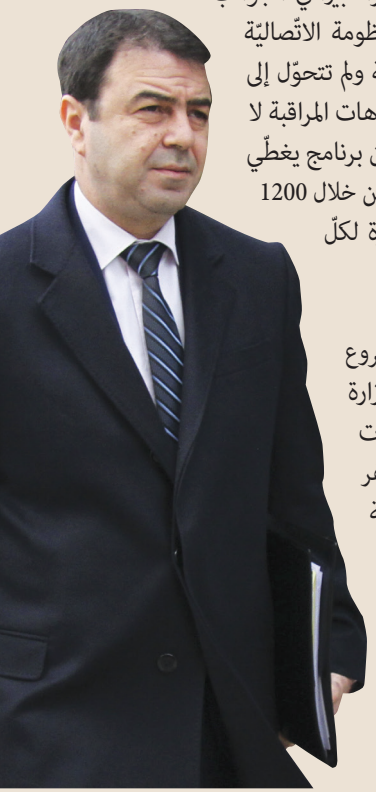

وبيّن الهادي مجدوب أنّ مشروع التّحديث الذي أقرّته الوزارة يتضمّن إصدار بطاقات التّعريف وجوازات السّفر البيومتريّة وإنشاء قاعة عمليّات جديدة على أحدث طراز، فضلا عن تركيز للأنظمة الاتّصاليّة الرّقميّة وكاميراهات المراقبة التي ستُرْبط بقواعد البيانات.

هل يحال طبّ السّجون إلى وزارة الصحّة؟

عبّر الدّكتور عبد اللطيف المكّي، رئيس لجنة الأمن والدّفاع بمجلس نوّاب الشّعب عن عديد التّذمّرات التي بلغته بخصوص آداء الخدمات الصحيّة داخل المؤسّسات السّجنيّة وخضوعها لتدخّلات الإدارة السّجنيّة ممّا قد يخلّ بحقوق السّجناء.

وطالب النّائب، القيادي في حركة النّهضة والسّجين السّابق الذي قضى أكثر من عشر سنوات بعديد السّجون بإحالة مصالح الطبّ السّجني إلى إشراف وزارة الصحّة وحتّى إن لزم الأمر إلى الهلال الأحمر التّونسي ضمانا للاستقلاليّة وحرصا على صحّة السّجناء.

الباجي قايد السّبسي
أسلوبه وشخصيّته ورؤاه

ها قد مضت سنتان منذ انتخابه في ديسمبر2014 رئيسا للجمهورية، والثالثة على مشارف الابتداء .. فبدخول شهر جانفي 2017، تدخل عهدته الرئاسية التي تستغرق خمس سنوات عامها الثالث، وهو عام مفصلي بحقّ.

الرئيس الباجي قايد السبسي يعلم تحديدا ومسبّقا متى ستنتهي عُهْدَتُهُ وذلك عكس كلّ الذين سبقوه على رأس الدولة التونسية، أكانوا بايات أمْ رؤساء جمهورية. هو أول رئيس دولة ينتخب انتخابا ديمقراطيا وَلِعُهْدَة واحدة، أي أنّه على دراية تامة من أنه سيسلّم المشعل إلى خَلَفِهِ بعد ثلاث سنوات من الآن، أي في ديسمبر 2019. ←

ارتأت ليدرز في سعيها إلى الغوص قدر الإمكان في أغوار الرجل أن تحصل على جملة من الشهادات المهمّة من بعض معاونيه القريبين منه: كيف يشتغل؟ ما هي السمات الكبرى الغالبة على طبعه؟ ما هي نقاط القوة ونقاط الضعف لديه؟ . كما ظفرت ليدرز بحديث حصري خصّها به رئيس الجمهورية الذي أفصح فيه بالخصوص عن أهمّ ما احتفظت به ذاكرته من سنة 2016 وأعرب فيه كذلك عن تمنياته بحلول السنة الجديدة.

كيف يشتغل الباجي قايد السبسي؟

تقول إحدى الصحفيات الفرنسيات : «من النادر أن يوجد شخص بهذا التعلق ببلاده وبتاريخها الحديث...»، الباجي قايد السبسي مسكون ببورقيبة. هو يريد أن يكمّل العمل الذي بدأه الزعيم الراحل. يعلم جيّدا أنّ له موعدا مهمّا مع التاريخ في نهاية عهدته الرئاسية، وهو مصرّ على أن يكون النجاح حليفه في مسعاه هذا. دأبه أن يتذكره الناس بأجلّ صورة وهي صورة بورقيبة الديمقراطي.

في كتابه «الحبيب بورقيبة.. المهمّ والأهمّ» الذي صدر في أفريل 2009 (منشورات الجنوب) حينما كان في قطيعة تامة مع نظام بن علي، أزاح قايد السبسي الستار عن مسيرته، وتحدّث عن سنوات بورقيبة وعن قناعاته السياسية وتعلّقه بالديمقراطية. ثم مرّت سبع سنوات فكان أوّل رئيس لتونس يُنتخب في سنة 2014 انتخابا ديمقراطيا. صدر له حينذاك كتاب ثان تحت عنوان « تونس، الديمقراطية على أرض الإسلام» تحدّث فيه عن رؤيته لبلاده وعن مراهنته على «التوافق» وتعهّده بالعمل على إنشاء جيل جديد من القادة السياسيين حتى يسلّمهم المشعل حينما تحين نهاية عهدته الرئاسية. هما إذا كتابان مرجعان يكشفان عن عقيدة الرجل وعن فكره.

هل تغيّر الرجل منذ أن حطّ الرحال بقصر قرطاج؟ كلاّ. لم يحصل ذلك البتّة. لقد ظلّ الباجي قايد السبسي هو هو، .. لم يتغيّر قط. شيئ واحد تغيّر بالنسبة إليه: قلّة الوقت وضغط الزمن. يدرك قايد السبسي جيّدا أنّ الوقت محسوب عليه. العهدة الموكولة إليه لا تتجاوز خمس سنوات، وهو يعلم أنّها سوف لن تتجدّد وأنّها ستنتهي بعد ثلاث سنوات أي في موفى عام 2019. فالمطلوب إذا أن يُسخّر كل عبقريته وكل طاقاته لا من أجل البقاء في أعلى هرم السلطة، بل من أجل ترسيخ الديمقراطية.

الأسلوب

يشتغل الباجي قايد السبسي وفي ذهنه جملة من الأهداف. ما إن يعنّ له هدف منها، حتى يبادر إلى التفكير في الاستراتيجية المناسبة التي ستساعد على بلوغه. عندها يضع تصوّرا لمختلف المراحل ويحسب ألف حساب للمخاطر التي قد تحدث، ويقدّر حظوظ النجاح.

حينما يضع الهدف نصب عينيه، يصرف اهتمامه بالكامل إلى الاستراتيجية، فلا يشغل باله إلاّ بما هو مهمّ وأساسي، غير مبال بالأمور الأخرى الجانبية واليومية التي يعهد بالنظر فيها إلى فريق المعاونين من حوله الذين يحظون بكامل ثقته؛ يتابع أعمالهم عن كثب، يسهر على ما هو من الأهميّة بمكان، وله القول الفصل في نهاية المطاف. يأخذ وقتا للتفكير ويستوضح مخاطبيه حول بعض المسائل وكثيرا ما يتوجّه بالسؤال على نحو غير مباشر. الرئيس قايد السبسي يشتغل كثيرا. حينما يكون خارج مكتبه، يبقى منشغل البال، على أهبة كاملة، يتّصل تكرارا ومرارا بهذا وذاك، تذهب به الأفكار مذاهب شتى ويهيّء له وقتا كافيا للتفكير وإعمال الرأي. يلقي أذنا صاغية للجميع، لكنه يرصد كل التقاطعات ويحتفظ لنفسه بثمرة تفكيره لا يصارح بها أحدا... يدفع أصحابه إلى استجلاء ما استعصى عن الحلّ، يمهلهم، وحينما يشعر أنهم في حيرة من أمرهم وأنهم وصلوا إلى حال من التخبّط واختلطت السبل أمامهم، يهبّ إلى مساعدتهم. تراه ماسكا دوما بالمفتاح الذي يزيل العقبات ويأتي بالحلول.

خير ما ينتظره من معاونيه وما يلاقي منه استحسانا خاصّا ويفوز برضاه إلى حدّ كبير هو أن يأتونه بإضافة، ويسعفونه بآراء وأفكار ثاقبة ومجملة.تراه يؤثر الإنصات لمن يقصر القول على ما هو أصلي وأساسي ضمن رسائل واضحة ويمعن التفكير فيها على نحو جيّد وكان حظّها من التثبّت والتدقيق وفيرا، ومن يسعفه بإيجاز لا يتجاوز الصفحة الواحدة. وتراه فطنا، سريع البديهة، فلا يأخذ من الأمور إلا لبّها لتثري زاده الفكري وليستأنس بها في صناعة القرار.

إنصات وتأهّب لا يفتران

لقايد السبسي دراية جيدة بوسائط الاتّصال بشتى أنواعهـا، لا تخـفى عليه لا واردة ولا شـاردة إلا ما ندر معتمدا في ذلك على ما يتهيّأ له من خلاصات لمحتويات الصحف وما يتناهى إليه حين يتابع ما يُكتب وما يقال في وسائل الإعلام المختلفة.

يولي الرئيس قايد السبسي اهتماما فائقا لما تنشره كبريات الصحف العالمية كصحف «لوموند» و«واشنطن بوسط» و«نيويورك تايمز» و«فوراين بوليسي» من مقالات دسمة، فيأخذ كلّ هذه الصحف والمجلاّت حين مغادرة مكتبه وينكبّ على مطالعتها في البيت مستعينا في كل ذلك بدون شكّ بحسن بديهة وقدرة على الإدراك العفوي وهو الذي شغل سابقا منصب وزير للشؤون الخارجية. وتراه على انتباه كامل لا ينقطع لما يجدّ من أحداث، متأهّبا لردّ الفعل في كل وقت، حريصا على الاحتفاظ بهاتفه الجوال لا يغلقه، بل لا يتوانى في مبادرة من يطلبه بالخطاب حتى قبل التّعرّف عليه.

تأهّب تام للتدخّل ومواجهة الأزمات

ردّة فعل قايد السبسي سريعة بحيث يصعب على معاونيه مجاراته، فلا يتردّد في الانتقال فورا إلى مسرح الأحداث كما حصل ذلك إبّان الاعتداءات التي جدت في باردو وفي سوسة... يمضي مسرعا كلمح البرق تاركا وراءه طاقمه الأقرب منه الذي يجد عناء في الالتحاق بموكبه... تأتي الكلمات على لسانه في صدق وعفوية.

طبع بلا تطبّع

هل يحنق؟ هل ينزعج بسهولة؟ هل يشتدّ غضبه في بعض الأحيان؟ لا أبدا. غضبه بارد، يرد الأمور إلى مجاريها بسرعة وبكل بساطة وبقدر كبير من الأريحية والقبول. في ردة فعله لطف، فلا يفاجئك ولا يغيضك أبدا...

ما يثير انزعاجه بشكل خاصّ هو عدم احترام الدولة ومؤسساتها ورموزها. بوسعه تماما أن يغفر لأحد معاونيه تقاعسه في تحضير ملف من الملفات، لكنّه لا يسمح أبدا بأيّ إخلال في حق الدولة وبالنيل من هيبتها والحطّ من شأنها..

يفضّل قايد السبسي أن يلازم الصمت حينما يتفطّن لهذه التجاوزات المشينة. الصمت عنده في هذه الحالة تعبير عن الاستنكار والغضب يتخذه ملاذا وملجأ. لكن هذه الأشياء المقيتة تثير انشغاله وتشحذ همومه فينتابه شعور بالمرارة وسوء الظن. قد توجعه بعض هذه المواقف والسلوكات الرعناء وقد تحزّ في نفسه، لكنه يكظم الغيظ ويتحصّن بالكتمان والنسيان ويفضّل طيّ الصفحة دونما ضيم ودونما حقد.. السياسة في نظره تبقى مسألة جدية وبهذا المعنى تكون مقترنة بالمسؤولية. قايد السبسي يأبى التصلّب الفكري ويرفض التشبّث المفرط بأفكاره. يقول لك إنك نبّهته إلى بعض الأمور وإنّه لم يعرها الاهتمام اللازم، أو إنّه أهمل توصياتك.

نقاط القوّة لديه

الباجي قايد السبسي يعرف تونس كما لا يعرفها أحد؛ هو خبير بشؤون السياسة، عينه بصيرة على كلّ الذين يدورون في فلكها، خبير بالإدارة، خبير بالأُسر. اشتغل سفيرا (في باريس وفي برلين) وشغل منصب وزير للشؤون الخارجية، فكانت له صداقات عديدة في شتى أصقاع العالم. حينما يعزم على السفر، يعرف تماما إلى أية وجهة سيتّجه ومن سيقابل. ولا يخلو جرابه من ذكرى يثيرها ولا يتخلّف عن ذكر شخص في ذهنه ولا تفوته مقولة حان وقت استحضارها. يدهشك بحضور بديهته وسرعة جوابه وتوقّد ذهنه وخفة روحه ووجاهة كلامه.

هو شديد الحرص على تكييف خطابه وفق ما يتطلّبه الحال ويجاري ما عسى أن يحدث من تطورات غير محسوبة خلال اللقاء، وبصرف النظر عمّا تهيّأ له من مذكّرات ومن خطاب تم تحريره مسبقا.

أفضل استشهاداته

يقتبس قايد السبسي من القرآن الكريم ومن الشعر العربي والشعر المعاصر ومن الأمثلة الشعبية كثيرا من الأقوال يستشهد بها عند الاقتضاء وعلى سبيل الشرح والإقناع.

يأتي دائما بالجملة المناسبة في السياق المناسب، يتلوها عن ظهر قلب، يجتنيها من ذاكرته الوقّادة ...

شعاره وديدنه

«اعمل ما لا منه بدّ، ولا عليك»

نقاط الضعّف لديه

نقاط ضعفه تبقى في الواقع في تنافر مع نقاط القوة لديه. قايد السبسي خطيب مصقع، يأخذ بمسامع الناس حينما يدلي بتصريحاته ويلقي خطبه ارتجالا، لكن قدرته على الخطابة تتقلّص حينما يكتفي بتلاوة نص أُعدّ له إعدادا حتى وإن وشّحه بأفكار من وحي خاطره وضمّنه إعلانا عن قرارات لم ترد في النص المكتوب.

نقطة ضعف أخرى تلصق بقايد السبسي هي الأرقام التي كثيرا ما تختلط عليه. هو لا يختلف عن بورقيبة على هذا المستوى، بورقيبة الذي لا يفقه الاقتصاد. لكن لقايد السبسي طاقة عجيبة على الفهم السريع فتسعفه قوة الذاكرة. يصرف اهتمامه إلى التوجّهات الاقتصادية الكبرى ويحتفظ في الذاكرة ببعض المؤشرات الأساسية فلا يتردّد في منازعة من يأتيه بعد ذلك بأرقام غير تلك التي قدّمها سالفا، فيُصرّ حينها على معرفة الأسباب التي تكمن وراء هذا الاختلاف.

المدبّر والمخطّط الاستراتيجي

يرى قايد السبسي أنّ الأحداث تجري متماسكة في شكل دفعات من الأمواج المتتالية، كل دفعة تهيّء السبيل لتقدّم الدفعة الموالية وهكذا دواليك.

ما إن اختتمت ندوة تونس 2020 وعاد من زيارة قام بها إلى الاتحاد الأوروبي حتى مسك بالملف الليبي. فاستقرار الوضع في ليبيا أمر على غاية الأهمية بالنسبة إلى تونس لأنّه يتيح فرصا لتدفّق الاستثمارات وللانفتاح على ليبيا البلد الجار الذي يشكّل امتدادا طبيعيا لها والذي يصبو إلى الدخول في مرحلة إعادة البناء. فمجال التعاون بين البلدين فسيح جدا. خطة الباجي قايد السبسي محكومة بكلّ هذه الاعتبارات : الاهتداء إلى ديناميكية جديدة والظفر بسوق قريبة تونس في حاجة ماسّة إليه.

ما احتفظت به ذاكرته من سنة 2016؟

يقول الباجي قايد السبسي في حديثه لليدرز :

«دخلت الانتخابات من أجل أن أكون في خدمة تونس مجدّدا . وجَدْنَا البلد على شفا الهاوية. ونحن اليوم في الطريق الصحيح، في بدء مسار مغاير تماما. نحن في بداية إقلاع أتمنى أن يتواصلَ وأن تتسرّع وتيرتُه. كنا في مواجهة مع الإرهاب وتلقينا ضربات موجعة إلى حدّ. حصل ذلك في باردو وفي سوسة وفي بن قردان وفي تونس العاصمة...

لكننـــا بذلنا جهـــودا كبيرة على مستـــوى الأمـــن، وحققنا تقدما مُهِمّا. ضربة بن قردان ربّما كانت ستؤدّي إلى نتائج وخيمة. لقد هاجمتنا مجموعة من أكثر من مِئتي إرهابي في محـــاولة لإقامة إمـــارة في بن قردان. لم يكن ذلك مجرّد تهديد، إنّما كان مؤامرة بكل ما في الكلمة من معنى. المعركة ضد الإرهاب لا تكسب بسهولة وبسرعة. إنّها حـــرب حقيقية. لكننا نظلّ متفائلين من حيث قدرتنا على مواجهتها وعلى كسبها بفضل تعبئة التونسيين وعمل الحكومة وقوات الأمن والقوات المسلحة. وعلينا أن نلازم اليقظة في كل آن وحين.

تمنياتـــه لعـــــام 2017

ويضيف رئيس الجمهورية :

«اتمنّى أن تتأكّد بوادرالفرحة وأن ينكشف الغمّ. أؤمن بديناميكية التغيير، وهي ديناميكية أحسب أنّ جذوتها ستزداد توقّدا في قادم الأيام، وعلينا أن نظل يقظين ومتمسكين بالعروة الوثقى. هناك أيضا ما هو مهمّ وما هو أهمّ .علينا أن نتوقّى الاختلاف في الأهمّ. الأهمّ هو مصلحة تونس العليا. يستحيل كسب أي رهان ورفع أي تَحَدّ دون الاتحاد والتوحّد في كنف حبّ الوطن ورفعة الدولة. مغالبة النفس أمر لا غنى عنه على الإطلاق بالنسبة إلى كل فرد على حدة، وبالنسبة إلى الناس جميعـا. لقد أتيت في كتابي «تونس، الديمقراطية في بـــلاد الإسلام» على ذكر آيتين مـــن الذكـــر الحكيم همـــا : «**فأما الزبد فيذهب جُفَاء وأما ما ينفع الناس فيمْكُثُ في الأرض**» [الرعـــد 17] و «**إن اللّه لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ**» [الرعد - 11] أنا واثق في المستقبل .سوف يتّخذ التونسيون هذه المعاني القرآنية نبراسا وهديًا . شعب تونس شعب ناضج ، هو نتاج 60 سنة ما بعد الاستقلال، نَهَلَ طوالها من معين المعارف والعلوم، وهو وريث حضارة عريقة ضاربة في القِدَم»..

STAR
ASSURANCES تـأمينـــات
عمّل علينا
خلّي حياتك
بين عينيك
NEW AGE
star.com.tn

اتحاد الشغل
مؤتمر جديد...وتحدّيات أكبر

يعتبر المؤتمر الوطني القادم للاتحاد العام التونسي الشغل، المقرر عقده من 22 الى 25 من شهر جانفي الجاري، أهم حدث وطني في بداية السنة الجديدة، وذلك بالنظر الى أهمية الدور السياسي والوطني للمنظمة، وهو دور تعاظم خلال السنوات الأخيرة ويُتوقع أن يستمر ما بعد المؤتمر القادم.

كما يكتسي المؤتمر أهمية خاصة بالنسبة إلى المنظمة الشغيلة، في علاقة بترتيب بيتها التنظيمي الداخلي ونعني هنا تحدّيا يتصل بإقرار أكثر ما يمكن من التناغم والانسجام بين المركزية النقابية من جهة والنقابات القطاعية من جهة أخرى، بعد بروز نوع من «الانفلات» في هذه العلاقة خلال الفترة الأخيرة، ما جعل القيادة في وضع يشبه «العزلة» داخل هياكلها، بعد حصول ما يمكن اعتباره «تمرّدا» من بعض النقابات على توجّهات المركزية النقابية وسياساتها، مثل ما حصل مع نقابات التعليم.

أما التحدّي الثاني، فإنه يكمن في مدى قدرة الاتحاد على التأقلم مع التحوّلات التي يشهدها الحقل النقابي، في مناخ وطني ديمقراطي وفي مواجهة تحديات استثنائية تعيشها تونس، من خلال الانتقال من التصوّر النقابي النضالي و المطلبي، إلى مفهوم جديد يقوم على «مقاربة تشاركية».

تصوّر جديد للعمل النقابي يقوم على الحوار والمشاركة في الشأن الوطني، بدأ مع القيادة النقابية بزعامة حسين العباسي، يُنتظر أن يتدعّم مع القيادة التي سوف يصعّدها المؤتمر الوطني القادم، التي تشير كل الأخبار والتسريبات القادمة من بطحاء محمد علي، أنها سوف تكرّس الاستمرارية في القيادة وفي المنهج والسياسات، حيث يتوقع أن يستمر 9 أعضاء من المكتب التنفيذي الحالي، وأن يكون الأمين العام رجل الجهاز والنقابي البراغماتي المطّلع على كل الملفات، ونعني الأمين العام المساعد المكلف بالهياكل نورالدين الطبوبي (أنظر مقالنا في هذا العدد حول الرجل).

التحدي الثالث، هو وطني بامتياز، وربما حتّمته أكثر الظرفية الراهنة التي تمرّ بها تونس، وإن كان في تناغم مع ثوابت «الثقافة النقابية» التونسية التي تقوم على أولوية «البعد الوطني» وهو ما لازم عمل المنظمة من لحظة التأسيس مع فرحات حشاد، الذي كان زعيما وطنيا أوّلا ثم زعيما نقابيا ثانيا.

وهنا يُتوقع أن يستمر خلال المرحلة القادمة استدعاء المنظمة العمالية للعب دور يتجاوز دورها النقابي والاجتماعي، على غرار ما حصل منذ سنة 2012، عندما قاد الاتحاد الحوار الوطني، وجنّب البلاد الانزلاق نحو الحرب الأهلية، وكذلك أثناء إنجاح المنظمة لمبادرة الرئيس قائد السبسي في تشكيل حكومة وحدة وطنية، مبادرة دعّمها الاتحاد، وإن لم يشارك فيها مباشرة، وبرز هذا الدعم عبر توزير نقابيين (من قيادات الاتحاد) في حكومة الشاهد.

من المرجّح أن يكون الاتحاد العام التونسي للشغل ما بعد المؤتمر الوطني حاضرا ومشاركا بقوة في كلّ ما يتصل بالخيارات الكبرى، سواء في البعد الاجتماعي على غرار إصلاح الصناديق الاجتماعية و مأسسة الحوار الاجتماعي، أو في الشأن السياسي بوصفه أحد الأضلع الرئيسية لحكومة الوحدة الوطنية.

يدرك الاتحاد جيدا أنّ كسب معركة التنمية وجلب الاستثمار لا يكون إلاّ عبر الاتفاق على إقرار سلم اجتماعي، هو السلم الاجتماعي العادل الذي تتشارك كل القوى الوطنية في تثبيته كما تتشارك كلها في تقديم التضحيات لإنجاحه، هذا ما أكّده الاتحاد في المفاوضات الأخيرة مع الحكومة عندما طالب بتجميد الزيادات في الأجور ورفض الاتحاد هذا المطلب لكنه توصّل عبر التفاوض إلى حلّ «مشرّف» تنازل فيه لأجل «المصلحة الوطنية» وللتعبير عن «تفهّمه» للإكراهات التي تواجهها الحكومة.

كما أنّ الاتحاد يدرك – وهو القريب من مشاغل المستضعفين ومشاغلهم – أنّ السلم الاجتماعي أصبح مطلبا اجتماعيا، وهو ما يفسر المرونة التي تعاطت بها قيادة المنظمة خلال المفاوضات الأخيرة مع الحكومة حول رفض تجميد الزيادة في الأجور..

منذر بالضيافي

نـــور الدّيـــن الطبّـــوبي

نقـــــابي كلاسيكي بـــدون لـــون سيـــــاسي وإيديـــولـــوجـــي

يُعدّ المؤتمر القادم للاتحاد العام التونسي للشغل، الذي تقرّر عقده أيام 22 و23 و24 و25 جانفي 2017، أبرز حدث في مطلع السنة الجديدة 2017، بالنظر إلى الدور الوطني الهامّ والمؤثر للمنظمة الشغيلة، وهو دور تعاظم أكثر خلال مرحلة ما بعد ثورة 14 جانفي 2011. هو دور مرشّح للاستمرار، خاصة وأنّ هناك اتّجاها نحو «التوافق»، على قيادة نقابية تضمن التواصـل لا القطيعة مع الخيارات والسياسات الحالية للمنظمة، بما في ذلك منصب الأمين العام، الذي أصبح تقريبا في دائرة المعلوم بل المؤكد منذ أشهر، نعني هنا «التوافق» على ترشيح الرجل الثاني في القيادة الحالية، الأمين العام المساعد الحالي المكلف بالهياكل والنظام الداخلي، نور الدين الطبوبي، الذي بدأ فعلا في الاستعداد لخلافة إرث سلفه حسين العبّاسي، مع جرعة من التجديد والإضافة، ومواكبة التحولات في الشأن الوطني وأيضا في الفكر والممارسة النقابية، وهو ما أكّده لنا في «دردشة» حرّة ومفتوحة معه.←

قبل تقديم الأمين العام المنتظر، أيّاما قليلة قبل مسكه رسميا بالمكتب الأول بساحة محمد علي، وسط العاصمة تونس، نشير إلى أنّه سيكون حارسا - مثلما صرح لنا بذلك - على بعدين أساسيين، يهمّ الأول الدور الوطني، الذي لعبته المنظمة ولا تـزال منذ الجيل المؤسس مع الشهيد فرحات حشاد.

وللتذكير فإن الاتحاد قام بدور حاسم في حماية مسار الانتقال الديمقراطي، عبر إدارة حوار وطني في مرحلة لافتة، وكان له فيها الفضل في إدارة الخلاف وصولا إلى التعايش بين الفرقاء السياسيين، وبالتالي تمكّن من المساهمة في تجنيب البلاد مخاطر الانزلاق نحو أهوال التناحر والحرب الأهلية، التي انقادت إليها دول «الربيع العربي» الأخرى مثل سوريا وليبيا.

أمّا البعد الثاني، الذي يضعه الأمين العام القادم نصب عينيه، ولا يمكن له أن يحيد عنه، فهو المحافظة على الدور الاجتماعي للمنظمة في إطار الاستقلالية والحياد، المتمثل في الدفاع عن مصالح الطبقة الشغيلة، عبـر آلية الحوار والتفـاوض ومراعاة المصلحة الوطنية.

للإشارة، فقد أصبحـت للمنظمـة الشغـيلة تقاليـد في إدارة المفـاوضات بصفة دورية مع القطاعين العام والخاص، وفق منهجية سمحت بإقرار زيادات منتظمة في الأجـور، ساهمت في المحافظة على القدرة الشرائية لفئات وشرائح واسعـة من التونسيين، فضلا عن كونها حمت الطبقة الوسطى من التفكّك، وبالتالي مثّلت أفضل ضمان لتثبيت الاستقرار الاجتماعي، الذي هو عماد النظام الديمقراطي.

الأمين العام المرتقب، نور الدين الطبوبي، المولود في 8 فيفري 1961 بباجة، ينحدر من وسط اجتماعي «متوسط الحال» ومن بيئة «محافظة» جعلته أكثر التصاقا بأسـرته المتكـونة من ولدين وبنتين، أما نقابيا فـإنّ باجة والشمـال الغربي لا تعرف لهما تقاليـد كبيـرة في العمل النقـابي مـقـارنة بجهات أخـرى، مثل صفـاقس والعاصمة والساحل.

على الرغم من أنّه يشغل مهمة الأمين العام المساعد المكلف بالنظام الداخلي، وهي مهمة تجعل منه، حسب تقاليد الاتحاد الرجل الثاني بعد حسين العباسي، فإنّه يكاد يكون في الظلّ وليس له بروز إعلامي كبير، مفضّلا أن يكون أداؤه متسما بـ«النجاعة» و«البراغمـاتية»، دون ضجيـج، لـذلك اختار منذ البدايات الاهتمام بالهياكل والنظام الداخلي (أي الجهاز)، معتبرا أنّها عصب «الارتقاء النقابي»، وهذا ما سيؤكده ويثبته مسار الرجل.

منذ بـداية انخراط نور الدين الطبوبي في العمل النقابي، في مطلع تسعينات القرن الماضي، حينما شغل خطّة كاتب عام نقابة أساسية في شركة اللحوم (1990)، وهي أوّل مسؤولية له، اختار العمل في صمت، بعيدا عن الأضواء، وهو خيار لا يزال يلازمه إلى يوم الناس هذا، بعد ما يقارب ثلاثة عقود من النضال النقابي المتواصل، استطاع خلالها معرفة «الماكينة» من الداخل، الأمر الذي سمح له بالتخطيط بهدوء لاعتلاء هرمها.

تدرّج نور الدين الطبوبي في سلّم المسؤوليات، من نقابي قاعدي، إلى مسؤول عن نقابة أساسية (شركة اللحوم - جامعة الفلاحة، قطاع هام في هيكلة الاتحاد) سنة 1990، إلى كاتب عام للاتحاد الجهوي بتونس، مكلف بالنظام الداخلي، بعد عشرية كاملة تفصله عن أوّل مهمّة له في المنظمة، تحديدا سنة 2001، وفي نفس السنة شغل خـطة كاتب عام الفرع الجامعـي للفـلاحة بتونس الكبـرى، ثـم بعـد تسع سنوات أصبح الأمين العام للاتحاد الجهـوي بتونس (سنـة 2009) أهمّ جهة نقـابية مـن حيـث الثقل المؤسّساتي والنقـابي وأيـضا السياسي.

وقد أهلته هذه الخطة المهمّة لأخذ موقع له في القيادة المركزية، خلال المؤتمر الوطني الذي انعقد بعد الثورة في طبرقة (2011)، ليشغل خطة أمين عام مساعد، مكلف بالنظام الداخلي. وذلك «حلم» تمّ التمهيد له في المؤتمر الوطني العام عدد 21 للاتحاد الذي انعقد سنة 2006 بالمنستير، حينها بدأت تكبر طموحات الطبوبي، حيث مسك بلجنة النظام الداخلي، التي مكّنته من اكتشاف كيفية «هندسة» المؤتمرات.

يعتبر نور الدين الطبوبي، وفق تصنيفات النقابيين «ولد الجهاز» أو «الماكينة»، وفي «البطحة» هو محسوب على «الخط العاشوري» (نسبة للنقابي الكبير الحبيب عاشور)، وهو تيار «يتشرف بالانتساب إليه»، وفق قوله، و يرى أنه نهج متحرر من كلّ ارتهان للسياسي والإيديولوجي، لصالح البعد «النقابي البراغماتي» و«الوطني».

لعلّ هذا ما يجعل من نور الدين الطبوبي، «نقابيا كلاسيكيا»، غير بعيد عن مواصفات الأمين العام الحالي، حسين العباسي، وهي مواصفات تحظى بمساندة الأغلبية المطلقة في الجسم النقابي في مختلف مستوياته، فضلا على أنها مطلوبة أيضا، من قبل بقية الفاعلين الاقتصاديين والسياسيين في البلاد، باعتبارها ستمثل أكثر نهج الاستمرارية في سياسات وخيارات المنظمة النقابية ومـواقفها، خيار يشدّد عليه نـورالدين الطبوبي، وهـو المتشبع بالبعد «الوطني العـاشـوري» للمنظمة الشغيلة، مؤكّـدا أنه متمسـك به، مثلما هو متمسّك بمواصلة «الدور الوطنـي للاتحـاد»، خـاصّة في مـرحلة يقـول إنهـا «صعبـة وتفترض التوافق» و«الحوار» و«الشراكة»، بين كل القـوى الـوطنية لتنفيذ الإصلاحات الاجتماعية الكبرى، مثـل معالجة أوضاع الصنـاديق الاجتماعية ومأسسة الحوار الاجتماعي.

كما يعد الطبوبي بالشروع في تنفيذ إصلاحات داخل الاتحاد، ويقـول إنّ لـه برنامجا هامّا سـوف يشمـل إعادة الهيكلة، وتدعيم الممارسة الديمقراطية الداخلية في اتخاذ القرار، مشيرا إلى أنّ الديمقراطية الداخلية في التسيير، هي التي حمت جسم المنظمة من الصراعات، وجعلتها قادرة على مواجهة الأزمات.

منذر بالضيافي

شركة عقارية قمرت
شركة خفيّة الإسم رأس مالها 000 000 1 دينار
مقرّها الاجتماعي: عمارة الكرامة القابضة بحيرة أناسي
ممرّ بحيرة الملاوي ضفاف البحيرة 1053 تونس
المعرّف الجبائي: 425194L/P/M/000
الهاتف: 218 962 71 216+ أو 100 960 71 216+
الهاتف الجوال: 000 910 98 216+ الفاكس: 175 962 71 216+
www.gammarth-immobiliere.tn
Contact@gammarth-immobiliere.tn

GAMMARTH IMMOBILIERE

إعلان بيع

طلب عروض عدد 35 لسنة 2016

تعتزم شركة «عقارية قمرت»، شركة على ملك الدّولة خاضعة لأحكام القانون التونسي، الإعلان عن طلب عروض للتفويت رضائيا لحساب الدولة وبتوكيل منها في (05) عقارات كائنة بالمرازقة- الحمامات وبسهول وخزامة الشرقية – سوسة وبحمام سوسة (أقساط مستقلة) :

القسط	العقار	الرّسوم العقاري	الموقع / العنوان	الوصف	مساحة العقار	المساحة المغطاة
I	البركة I	564593 نابل	إقامة «جنان» في منطقة سكنية بالمنطقة السياحية بالمرازقة، على بعد أمتار من البحر	فيلا1+R مع طابق ثاني جزئي	320 م^2	477 م^2
II	البركة II	563270 نابل		فيلا1+R	400 م^2	383 م^2

القسط	الشقة	الرّسم العقاري	العنوان	الموقع	النوع	المساحة المغطاة
III	فرح	114794 سوسة	الشقة 23 الطابق السابع إقامة فرح، شارع ياسر عرفات، سهلول -1 سوسة	شارع ياسر عرفات، سهلول 1، سوسة بالقرب من مستشفى سهلول	S+2	122م^2
	مأوى	114757 سوسة	عدد 01 بالطابق تحت الأرضي		مأوى	11 م^2
IV	النزهة	73254 سوسة	شقة بالطابق الأرضي، إقامة الفردوس نهج المسك، خزامة الشرقية- سوسة	في حي سكني راق بخزامة الشرقية، على مقربة من المنطقة السياحية	S+3	155 م^2

القسط	المقسم	الرّسم العقاري	الموقع	المساحة	الخصائص العمرانيّة
V	الرويال	94857 سوسة	نهج واد الحمام على مقربة من المنطقة السياحية بالقنطاوي، حمام سوسة	361 م^2	سكني فردي مزدوج UAa2 نسبة إشغال الأرض (0,4) ضارب البناء (1) الارتفاع 12 متر (R+2)

يمكن الإطلاع على الأمثلة الموقعيّة للعقارات على الرابط www.gammarth-immobiliere.tn أو مباشرة بالمقر الاجتماعي لشركة «عقارية قمرت».

كل الرسوم العقارية موضوع طلب العروض خالية من الرهون أو التحملات ماعدا القسط IV وترجع بالملكية إلى الدّولة التونسية وهي مدرجة ضمن ملك الدولة الخاص. هذه الملكية التي إكتسبتها الدولة بمقتضى قرارات المصادرة تطبيقا للمرسوم عدد 13 لسنة 2011.
المهتمون بطلب العروض مدعوون عند الإقتضاء إلى ربط الصلة بالجهات الإداريّة المحليّة والمصالح الفنية المختصّة لمزيد التثبت من صبغة العقارات ووضعيتها قبل المشاركة.

يتعلق البيع بالعقارات و المنقولات و التجهيزات على الحالة التي هي عليها وكما تقع معاينتها من قبل المشاركين ومستشاريهم وتحت مسؤوليتهم وتضمن عقارية قمرت والدولة التونسية للمشتري استحقاق المبيع وتمنعان عنه كل شغب مادي أو قانوني مصدره الغير وتكونان متضامنتان معه قضائيا في حال نشوب نزاع لاحق بسبب انتقال الملكية اليه.

يمكن لكل شخص طبيعي أو معنوي يرغب في المشاركة في طلب العروض الحالي سحب كراس الشروط مقابل خلاص مبلغ غير قابل للاسترجاع قدره مائة وخمسون دينار (150 د) نقدا أو بواسطة صك يسلّم إلى القسم المالي للشركة أو بفرعها الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة خلال التوقيت الإداري.

يمكن المشاركة حسب الاختيار في قسط أو أكثر وترسل العروض في ظروف مغلقة ومختومة عن طريق البريد مضمون الوصول أو البريد السريع أو تودع مباشرة مقابل وصل في الاستلام لدى مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت. ويحمل الظرف الخارجي وجوبا التنصيصات التالية:

المرسل إليه : شركة «عقارية قمرت»
العنوان : نهج بحيرة أناسي – ممر بحيرة الملاوي عمارة الكرامة القابضة ضفاف البحيرة 1053 تونس
الموضوع : المشاركة في طلب العروض عدد 35 لسنة 2016
« لا يفتح من قبل مصالح مكتب الضبط»

يتكونّ ملف العرض المضمّن بالظرف الخارجي من جميع الوثائق الإدارية والمالية المرتّبة من «أ» إلى»ح» والمنصوص عليها بالفصل 8 المتعلق بمحتوى العروض بما في ذلك ضمان المشاركة طبقا لمقتضيات كراس الشروط والمحدد جزافيا بمبلغ عشرون ألف دينار **(20.000 د)** بالنّسبة للقسط **I وII وسبعة آلاف دينار (7.000 د)** بالنّسبة لكلّ من الأقساط **IIIو IVو V.**

حدّد آخر أجل لقبول العروض ليوم الثلاثاء **31 جانفي 2017** على السّاعة الثالثة بعد الزوال (15س00). ويعتمد ختم مكتب الضبط لشركة عقارية قمرت كمرجع وحيد لإثبات تاريخ وصول العروض. وتنعقد جلسة فتح العروض العلنية في نفس اليوم على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال (15س30) بالمقر الاجتماعي للشركة بحضور عدل تنفيذ والعارضين أو من يمثلهم (مصحوبين بإثبات هوية وبتوكيل).

ويبقى المشاركون ملزمين بعروضهم **لمدة مائة وخمسون (150) يوما** بداية من اليوم الموالي للتاريخ الأقصى المحدد لقبول العروض.
لمزيد الإرشادات يرجى الإتصال بالمصلحة التجارية للشركة أو بفرعها الجهوي الكائن قبالة مفترق سهلول سوسة على الأرقام :

(+216 98 910 000 أو +216 73 369 037 أو +216 71 960 100).

فـــي الثـــورة والثـقـ

1- في أول نشاط غير قتالي لخليفة عثماني خارجَ حدود مملكته اتجه السلطان عبد العزيز سنة 1867 صوب مدينة باريس ليحضر المعرض الدولي العام بها. لم يتردد معارضوه المتربّصون به في استغلال زيارته فاستصدروا فتوى بعزله. كان مستندهم في فتوى العزل هو تشويش السلطان للأمور الدينية والدنيوية ممّا أضرّ بالشؤون السياسية.

هي حادثة مفصلية لها أكثر من دلالة. أبرز جوانبها وزنُها الحضاري الذي يتيح الوقوف للحاكم المسلم متصديا له بالعزل لمؤاخذات منها سفرٌ استثنائي إلى بلد غير مسلم بما شوّش أمور الدين والدنيا. أساس المؤاخذة وجود قطيعة باتّة بين عالَم المسلم والعالم الآخر وأن الزيارة انتهكت قاعدةَ هذا التصوّر الإيديولوجي للعالم.

تستمدّ جذورُ هذه المؤاخذة قوتَها من رؤيةٍ تستبطن فكرة الاستقطاب الثنائي بين المسلمين والمختلفين عنهم في الواقع السياسي والقانوني والأخلاقي وكذا في التبادل الفكري والاقتصادي مما لا يسمح بقيام أية علاقة بين العالَمَيْن خارج مجال الحرب. هو بناء ثقافي مغلق على الذات لا تُحتمَل فيه صِلاتٌ خارج مجال التنافي بحيث تنهدم كل الجسور وينعدم كل تواصل وتعارف إنسانيين.

اللافت أنّ هذه الرؤية السكونية المسكونة بالخوف الحضاري والانغلاق الثقافي التي اسقطت السلطان عبد العزيز منذ ما يزيد عن قرن ونصف لا تزال قابعة في عالمنا العربي وقادرة على الفعل والإقصاء رغم غروب السلاطين وتغيّر الظروف وتحوّل السياق في كافة الأوطان.

2- في هـذا العـام السـادس لذكرى انـــدلاع أحداث 17 ديسمبر 2010 ـ 14 جانفي 2011 الثورية التي بزغت في تونس سنة 2011 تكشّفت معضلة هذا العالَم بوجهيها: وجهٌ مشرق واعد عبّرتْ عنه أحداث المخاض التغييري بما فيه من تصميم وطاقات وآفاق ووجهٌ كالح تعرّت فيه الإعاقات والهنات بصورة مأساوية مكّنت لخيبة أمل وإحباط واسعيْن.

انتشارا للشرارة التي أوقدها محمد البوعزيزي بجسده يوم 17 ديسمبر 2010 احتجاجا على ما سُلط عليه من تعسف جهر الجمهورُ بكل المكبوت الذي ما فتئت الأجيال تنطق به مطالبة بالحرية والكرامة. وإذا كـــان معظم النار من مستصغر الشـــرر فإن شرارة البوعزيزي استطاعت منذ اتقادها أن تَسْتَعِر فتضيء جنبات عالم عربي متوثب رغم القهر والاختراق. لهذا لا مناص للباحث المتأمل أن يشتغل على أكثر من قضية خطيرة استجلاءً لما وقع استصغاره والاستهانة به من كبريات الأسئلة.

يتصل أول الأسئلة بإشكالية «الهوية والحدود» التي ما تزال تقضُّ المضاجع رغم أنها ساهمت بقـــوة في الإطاحـــة بحكـــم السلطان عبد العزيز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبمن انتصب بعده مستبدّا أو غازيا. يتعلق صميم المسألة وطنيا وعربيا بموقف يتأرجح بين الاكتفاء بالدفاع عن الهويّة خوفا عليها وبين تهميشها والاستهانة بها. في هذا انزلقت نخبٌ عربية وقسم من مجتمعاتها في الفترة الحديثة والمعاصرة رغم أنه موقف مغايرٌ وقاطعٌ مع سُـــنَّة ثقافية ميّزت حياة العرب - المسلمين عند بنائهم لحضارتهم بوعيهم لذاتهم في علاقتها بالآخر.

ما غدا عندنا اليوم إشكالا للهوية والحدود إنما هو استعادة غير مبرّرة لمفهوم فقهي وموقف حضاري يرتبطان بـمقولة «دار الإسلام» و«دار الحرب». هذا ما يؤكد ضرورة مراجعة القضية بصورة جذرية لما لها من تداعيات مأساوية نشاهد جانبا منها اليوم فيما يصنعه المتربصون بمستقبل الأوطان العربية وإمكانات صعودها.

3- الدقيق في مراجعة هذه الإشكالية هو التباين القائم بين الفضاء العربي والأوروبي الغربي في مجالي الوعي السياسي والحريات العامة وفي خلفيتهما الثقافية. هما فضاءان متجاوران لا يفصل بينهما جغرافيا سوى البحر المتوسط. لكن المفارقة الكامنة وراء هذا التباين هو أن الجهود المبذولة لتأكيد الحدود الفاصلة بين الفضاءين، أمنيا وسياسيا، انتهت إلى ما يشبه الحرث في البحر. فلا جانبٌ من شباب جنوب المتوسط أقلع عن حلم اقتحام أوروبا مهما كلّفه الثمن ولا استطاعت سياسات قادة أوروبا أن تجعل من قارتهم قلعةً منيعة في وجه موجات المتسللين واللاجئين. هنا باءت مساعي بناء حداثة حقيقية بالتلاشي وهناك لم يصمد الحصن المتعالي عن بؤس عالَمها المجاور رغم تناسيه زعمَه «التحضيري» له.

يضاف إلى هذا عجزٌ مزدوج يفاقم تعقيدَ مسألة الهوية والحدود. هناك من جهة إخفاق واضح للسياسات الأوروبية الحالية خاصة عن حسم مسألة المعايير الثقافية والسياسية المعتمدة لإرساء تعاونها مع

ـافـة المعطـوبـة

بقلم د. احميده النيفر • رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

أجوار شرق المتوسط وجنوبه. يقابل هذا الجانب عدم توفُّق النخب العربية الحاكمة والمفكرة في إرساء مشروع وطني جامع بوعي إلافِـيٍّ لمجتمع تضامني بما أبقى الهوّة شاسعة، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، بين الأقطار العربية وبينها وبين بلدان الشمال.

لذلك فلا غرابة إن وقع إفراغ المشروع الأوروبي: «الاتحاد الأوروبي من أجل المتوسط» من مضامينه الإيجابية بما ألحقه بمصير مشاريع أخرى سابقة لم تستطع أن تعالج معضلة الحدود بكل معانيهَا.

4- يتّصل مفهوم الحدود بمعنى قريب دالٍّ على التحديدات الجغرافية السياسية المُثبَتَة على الخرائط وضمن الاتفاقيات الدولية والفاصلة بين الدول والأقطار في قوانينها وأعرافها وسياستها ونظمها. تلك هي معالم الجانب الظاهر للحدود، إلى جانبه توجد حدود أخرى وازنة رغم أنها غير مُعلنة وهي في حركة دائمة وفي حالة تجاذب مع الأولى. تختلف الثانية عن نظيرتها في الطبيعة والفعل فتكون أحيانا لصيقة بها كما تكون غالبا متعالية عنها، متحررة منها أو متجاوزة لها منتظمةً في كل ذلك أذهانَ الأفراد ومشاعر الجماعات. هي حدود تعبّر عنها الثقافةُ في طبيعتها التصوّريّة التي يختارها الناس فينساقون إليها ويَحْـيَون بها ويستمدون منها جانبا هامّا من عواطفهم ومواقفهم لِحمولتها الرمزية والعقدية والقيمية ووزنهاالفكري والسياسي-الاجتماعي العملي. من ازدواج هذين البعدين للحدود: التوطُّني الجغرافي والتصوّري الاختياري، تقوم الهويّة وتتحدّد الانتماءات في الرؤية التنميطية المسارعة إلى تمجيد الذات و استهجان الآخر أو في فاعليتها المنفتحة - الحوارية والبنائية.

إشكال الحدود في أن قسمها البارز الجغرافي ينحو إلى الثبات بينما قسمها الثقافي الخفي أبلغ تأثيرا في صياغة الهوية لكونها عنصرا مركَّبا من ناحية وفي حالة تَشَكُّلٍ دائمٍ من ناحية ثانية.

كيف يتمّ التراشح بين الثابت والمتحوّل، بين البسيط والمركَّب؟ و ما العمل لتنظيم علاقتهما وتطويرها خاصة في ظروف تتميّز بتسارع التحولات الدولية وعنفها؟

5- للإجابة يتأكد طرح الوجه الآخر للسؤال المتمم لإشكالية الهوية والحدود والمتصل بثنائية الثورة والثقافة.

ما تفيدنا به السنوات الستّ الماضية في تونس أنّ الحدث الثوري الذي حصل لم يكن انفجار نظام اجتماعي سياسي قائم فَقَد مقومات الحياة وشرعية الوجود فحسب. الإعاقة الخفية التي وقع التغاضي عنها في فهم ما حصل وما تتواصل مفاعيله في السنوات الست التي انقضت وثيقةُ الصلة بالثقافة المعطوبة التي تزهق الأعمار وتزرع الدمار.

بهذا المعنى لم تقم الثورة، في تونس وخارجها، إلا لتوفر شرطَيْن: نظامٌ اجتماعي سياسي فاسد تعضده عَطوبة ثقافية لم تقدر على فهم ما كان يجري فضلا عن أن تأخذ على عاتقها تطوير المجتمع وتحرير الفرد فيه.

ذلك أن شعار اسقاط النظام لم يكن معناه في المسعى التغييري للثورة الانتفاضَ على النظام السياسي الاجتماعي وحده. لقد كان في ذات الوقت مطالبة بالخروج على منظومة مغلقة ومهمشة من المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق التي ارتكن إليها النظام المدان.

لهذا فإن تحدّي الثورة واتساع مسيرتها مرتَهِنٌ في جانب رئيسي منه بتجاوز ثقافة التكلّس والتلهية المولدين للعنف واللامبالاة ذلك بازدهار ثقافة مبدعة لحلول وتعبيرات وتقنيات جديدة أي بقدر ما تكون ثقافةً حيّة مستجيبـــة لمطـــالب المجتمع وتطلّعاته ومتمثلة لأشواق الفرد وطموحـــه وواعية بمقتضيات زمنهما الحضاري.

ا.ن.

عياض ابن عاشور في كتاب

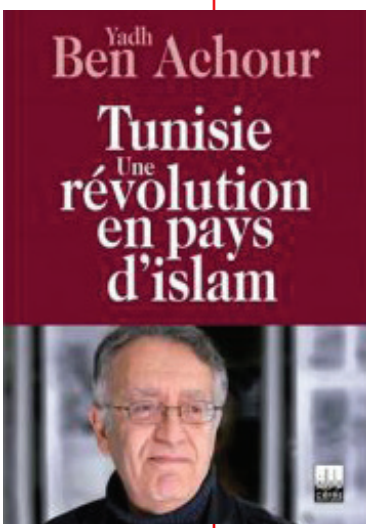

يتنقلُ الأستاذ عياض بن عاشور في كتابه الجديد «تونس: ثورة في أرض الإسلام» بين دور المؤرخ حينا وشخصية عالم الاجتماع حينا آخر، ثم يتقمّص ثوب الشاهد والإخباري حينا ثالثا، من دون أن ينسى حرفته كخبير قانوني، مُتقنا كل هذه الأدوار باقتدار. وتعكس خريطة الكتاب تلك السباحة بين التخصصات، فقد اشتمل على مقدمة لا تخلو من الطول والعمق في آن معا، ثم قسم أول عنوانه «الثورة التونسية في سياقها»، وثان عن «سينوغرافيا الثورة»، فثالث عن مفارقاتها (وهو الأطول والأهم)، وقسم رابع عنوانه «الثورة والثورة المضادة»، وخامس بعنوان «المُقايضات التاريخية للثورة»، وسادس بعنوان «قوّة القانون في الثّورة وقسم أخير بعنوان معارك من أجل الدّستور». ويمكن القول إن هذا الكتاب قصة story أو رواية، لكن الراوي يلتزم بأركان البحث العلمي فيسند كل فكرة إلى صاحبها وكل معلومة إلى مصدرها.

يعود الأستاذ بن عاشور إلى تفكيك مصادر ما اصطُلح على تسميته بـ «الاستثناء التونسي» في الثورات العربية، وهو ما جعله لا ينطلق من لحظة اندلاع الأحداث في سيدي بوزيد، وإنما من الخلفية الاجتماعية والثقافية والسياسية التي أحاطت بها، وجعلتها نسيجُ وحدها، فهي لا تُشبه أية ثورة سابقة، لا الفرنسية ولا الروسية ولا الصينية... ومن خصوصيات هذه الثورة أنها كانت تُبصر أمامها ما يكفي من الأسباب الشرعية لقطع رؤوس «حانت ساعة قطافها»، لكنها «لم تقطفها». في المقابل نراه ينتقدها بسبب غياب الرؤوس المفكّرة، فهي «ثورة بلا رأس» (ص19) بحسب الصورة التي اقتبسها من الباحث التونسي العربي الصديقي، نظرا لكونها استمّدت قوتها من زعامتها الذاتية. وإلى جانب قوة الدفع الرئيسية هذه، لا يُغفل المؤلف الأسباب والدوافع المباشرة، وهي مُتصلة بأنواع المعارضات المختلفة التي وقفت في وجه الاستبداد. على أن هذه الثورة لم تأت بمبادئ جديدة ولا برؤية مغايرة للإنسان والعالم، ولذلك فإن تأثيرها الفكري لم يتعولم خلافا للثورة الفرنسية والثورات اليسارية.

وهنا يتوقّف الأستاذ ابن عاشور ليؤكّد على البعد الوطني (المحلي) للثورة بعيدا عن محاولة التنظير للثورات في العالم، فهذا البُعدُ هو الوحيد المشحون بالدلالات التي تحتاج إلى توليدها. وفي مقدمتها تعدّدُ الأزمنة المتضافرة في نسيج الثورة، وسط ثقل كبير للأفكار الوافدة، التي اقتحمت الحياة والمجتمع وعالم السياسة سواء بالقوة أم بالتثاقف الناعم، ومنها تلك الفكرة المحورية التي برزت لدى مناقشة مشروع الدستور: الدولة المدنية. ويُلاحظ المؤلف أنه حتى المناهضين لها لم يتمالكوا عن دخول حلبة الجدل والصراع حولها قبل أن تجد طريقها للإدراج في الدستور. بهذا المعنى وبمعان أخرى شرحها الكتاب، يمكن القول مع الدكتور مولدي الأحمر إن الثورة التونسية ليست قومية ولا برجوازية ولا بروليتارية ولا هي ثورة فلاحين ولا ثورة دينية، فهي تأبى تصنيفها ضمن «الكاتالوغ» الرسمي للثورات.

ثورة غير مُعولمة

الحديث عن التصنيف يقودنا إلى التطرُّق للمنوال المرجعي الذي يعتمده الكتاب، فهو يتميّز بغزارة المراجع وتنوّعها وخصوبتها، بين أنكلوسكسونية وفرانكوفونية وعربية، إذ لا تخلو صفحة من مرجعين أو ثلاثة. غير أن المثال الفرنسي ظل هو المنوال النموذجي أو وحدة القياس للحكم على الثورة التونسية، من دون الإشارة إلى الثورات الديمقراطية في أوروبا الشرقية والوسطى، مثلا، التي كانت أقرب إلينا. من هنا استند المؤلف في تحديد الخط الفاصل بين الانتفاضة والثورة إلى ما شهدته الثورة الفرنسية من نقلة بعد لحظة السيطرة على سجن الباستيل، «وهذا تقريبا ما حصل في تونس» كما قال (ص70). كما أنّ اعتبار ثورة الحرية والكرامة بمثابة ثورة 89 عربية (اختصارٌ للثورة الفرنسية التي حدثت في 1789) مثلما وصفها بنجامين ستورا يندرج أيضا في نسق المركزية الفرنسية. ومن هذه الزاوية كنا ننتظر من المؤلف أن يدحض فكرة مارتن مالتا الذي اعتبر أن «المفهوم العصري للثورة يُحيل على ظاهرة أوروبية بامتياز، مهما كان هذا الرأي ظالما لباقي الإنسانية» (ص 40).

كلُ هذا لا يُقلّل طبعا من عمق التحليل الذي أبرز العلاقة بين الظاهرة الثورية والدين من ناحية وبينها وبين القانون من ناحية ثانية، و«هما المسألتان اللّتان وجدنا أنفسنا نُجابههما وجها لوجه بعد الثورة» كما يقول المؤلف. وبعدما يستعرض تعريفات الثورة وشروط قيامها (ص67-69) يُقدّم لنا ردّا منهجيا على بعض المقولات البائدة التي كانت تزعم قبل اندلاع الثورات في 2011، أن المجتمعات العربية خاضعة وخانعة وأنّ الاستبداد يستفحل في العالم العربي وسط عالم ينخرط أكثر فأكثر في الديمقراطية، وهو ما يُسمّونه «الاستثناء العربي». وهو يتبنّى في هذا الصدد قولة جان بيار فيليو «إنّ الاستثناء العربي

ـــه الجديد: الشّاهد والمؤرّخ

الوحيد حقّا يكمن في السرعة التي كنست بها انتفاضة ديمقراطية نظاما ثم فعلت الشيء نفسه بالنظام الثاني» (ص55).

هؤلاء سبقونا

إلا أنّ القول بأنّ الثورة التونسية هي «أوّل ثورة في العالم العربي من أجل الحريّة» غير دقيق، إذ لا ننسى الثورة الشعبية الكبرى في السودان سنة 1964، التي أطاحت بالمشير ابراهيم عبّود وأرست نظاما ديمقراطيا، ثم الثورة الثانية التي تلتها في أفريل 1985 وأطاحت بجعفر النميري وأقامت حكما مدنيا تعدّديا، قبل أن ينقلب عليه «الإخوان المسلمون» بعد سنتين.

وبالعودة إلى جذور الانتفاضة في تونس يُشير الأستاذ ابن عاشور إلى أنّ نسبة الانخراط في حزب «التجمع» الحاكم كانت الأعلى في ولاية سيدي بوزيد، لكن كثيرا من هؤلاء المنتسبين شاركوا في المظاهرات ما يدُلُ على هشاشة النظام (ص72). ويستعرض أدوار القوى السياسية والاجتماعية الفاعلة، فيصف موقف قيادة اتحاد الشغل من الاحتجاجات بالحذر الشديد، ويومئُ إلى أنّه لم يؤيد مظاهرة 14 جانفي في العاصمة، التي كان شعارها «بن علي ارحل» (ص75). كما يستعرض دور الشباب الفيسبوكيين في الترويج السريع لصور الاحتجاجات، وخاصة علي بوعزيزي الذي نقل إلى العالم عبر قناتي «فرنسا24» و«الجزيرة» اندلاع الانتفاضة في سيدي بوزيد. غير أنّ المؤلف لم يُشر إلى أنه عضو قيادي في حزب معارض لعب دورا بارزا في مظاهرات القصرين وسيدي بوزيد والعاصمة.

الشاهد والإخباري

انطلاقا من القســـم الثالث يستعير ابن عـــاشور الإخبـــاري مـــن ابن عاشور الشاهد بعضا من الوقائع التي عاشها بعد الثورة، ليشرح لنا ديناميات الانتقال السلس والسلمي من حكومة الغنوشي إلى حكومة قائد السبسي، وخاصة التجاذبات المريرة في الهيأة العليا لتحقيق أهداف الثورة (التي كان هو على رأسها)، قبل الاتّفاق على تأجيل انتخابات المجلس التأسيسي من 24 جويلية إلى 23 أكتوبر 2011. وهو يبوح لنا بسرّ مفاده أنه كان يُدوّن في مفكّرة خاصة أهم الأحداث والاجتماعات في الهيأة العليا، ممّا أفاده كثيرا اليوم في تأليف الكتاب ومنح القرّاء معلومات غير منشورة عن تلك الفترة. بيد أنّه لا يتوقّف عند دور الإخباري، وإنما يُحلّل المحطات الكبرى التي مرّت بها الثورة، ومنها التوافقات أو المقايضات التاريخية حول الشرعية، وإن لم تحُل دون اقتحام العنف للمجال السياسي، «فالصراعات حول الشرعية داخل الثورة تُحلّ في غالب الأوقات بواسطة العنف» كما قال (ص217). وحظي الاتفاق على خريطة الطريق للمسار الانتقالي، الذي وافقت عليه قيادات الأحزاب (عدا «المؤتمر») في 15 سبتمبر 2011 بحيّز مهمّ من القسم الخامس من الكتاب، بوصفه نواة للتوافق على الدستور وعلى مهمة المجلس التأسيسي. واعتبر المؤلف دستور 2014 استئنافا للمسار الدستوري المُتجذّر في الثقافة السياسية التونسية، «على نحو جعل مفهوم إرادة الشعب والكرامة والحرية والمواطنة والحدّ من السلطة تُحيل على مضامين دقيقة للشرعية الديمقراطية الدستورية (ص 251)». واستعرض بإسهاب في القسم الأخير من الكتاب المعارك التي جرت حول صياغة الدستور بين التيار المتمسّك بمدنية الدولة والتيار الذي سعى إلى جعل الشريعة ليس فقط مصدر التشريع في المجلس التأسيسي، وإنّما أيضا «المرجع الذي سيستمد منه المجلس (التأسيسي) القوانين والمؤسسات القضائية والتربوية والاجتماعية والسياسية» (تصريح للنائب صادق شورو لإحدى القنوات التليفزيونية).

بقلم د. رشيد خشانة

«ثورة من أجل دستور؟ أليس هذا رهانا خاسرا؟» يتساءل الأستاذ ابن عاشور في خاتمة الكتاب: لماذا كل هذه الجهود والمخاطر والوقت والتضحيات من أجل وضع دستور نعلم جميعا مسبّقا حدوده ونزواته؟ وجوابه أن تكوين فكرة صادقة عن اللحظة الثورية لا تكون بنظرة تستبطن الأزمات التي تعقب كل ثورة طيلة سنوات، فعندئذ سنصل بالتأكيد إلى استنتاجات تلخّصها عبارات من نوع «الثورة المسروقة» و«الثورة الضائعة» أو المخطوفة أو المغدور بها... ويُشدّد المؤلف هنا على أنّ المناقشات التي رافقت كتابة الدستور شكلت أفضل اختبار لممارسة المواطنة، وهي بهذا المعنى تمهّد الطريق لوضع الدستور نفسه موضع التنفيذ، فالمعركة الديمقراطية التي لا تقل أهميّة عن الثورة ذاتها، هي أفضل مُبشّر بالديمقراطية» (ص354).

ر.خ.

الديمقـــراطية بين صفعتيـــن

بقلم عامر بوعزة

بعد مضيّ ستّ سنوات على قيام ثورة اصطُلح على تسميتها رسميا بثورة الحرية والكرامة، صفع عون حرس مواطنة في عربة نقل عمومي لمجرّد رفضها التنازل عن مقعدها، فأشعلت هذه الصّفعة مجدّدا فضاءات النّقاش السّياسي لكن بشكل هامشي ويبدو أقلّ أهميّة في غمرة الجدل الوطني المضطرم حول عودة التونسيين المورّطين في قضايا إرهابيّة خارج الحدود وما إذا كان دستور الثورة يسمح بتجريدهم من حقّهم في الجنسيّة.

لقد اتّجهت النخب السياسية في تونس بعد سقوط النظام بشكل مفاجئ وغير متوقّع عشية الرابع عشر من جانفي 2011 إلى إعادة اختراع العجلة، فعملت ثلاث سنوات كاملة على صياغة دستور جديد يضمن الحقوق والحريات وينشئ نظاما سياسيا جديدا يحدّ من صلاحيات الرئيس دون أن يكون هناك عمل قاعدي في العمق للتربية على الديمقراطية وقيم المواطنة. وانبنت المقاربة التأسيسية على فكرة سهلة تختزل الدكتاتورية في شخص الرئيس ومؤسسة الرئاسة وتبشّر بالديمقراطية التي تأتي مدجّجة بحزمة من التّشريعات وترسانة من المؤسّسات واللّجان والهيئات والجمعيّات، لكنّ هذه الديمقراطية الوليدة التي تضمن للسّياسيين مقاعد شبه قارّة في بلاتوهات الثرثرة السياسية والتحاليل الاستراتيجية لم تستطع أن تضمن لمواطنة بسيطة مقعدا في عربة نقل عمومي ولم تحمها من صفعة مهينة بسبب عون حرس متسلّط.

صحيح أن القليل من الضّوء الإعلامي عبر وسائل التّواصل الاجتماعي أولا ثمّ في القنوات الإذاعيّة والتّلفزيونية كان كافيا ليأخذ القانون مجراه الطبيعي في هذه القضيّة، لكنّ هذه الحادثة لوحدها يمكن أن تساعد على محاولة فهم الواقع التونسي الجديد بما فيه من تناقضات، فهي تؤكد شعورا جماهيريا عارما يرقى إلى مرتبة اليقين بأنّ الحرّية بضاعة تلفزيونية لا غير وأنّ الديمقراطية فرجة يتفشّى فيها الاقتتال الإيديولوجي الرمزي، أمّا الواقع اليومي فلم يتغيّر كثيرا، ظل يراوح مكانه، هنا حيث تسود قيمٌ أخرى لم تختلف كثيرا عمّا كان سائدا في الماضي القريب، ألم تندلع الثورة أصلا بسبب صفعة؟!

قد يعتبر البعض أنّ هذا التناقض بين الصورة على الشاشة ونظيرتها في الواقع ليس إلاّ جزءا من المسار وأنّ الديمقراطية لا تأتي هكذا دفعة واحدة إنّما بالتراكم، وهو موقف يتغافل عن أهمية تجذير الديمقراطية في الواقع بالممارسة فالنصّ وحده لا يعني شيئا، والتدريب على قيم المواطنة يعني أساسا التوصل إلى المعادلة السحرية التي تنهض عليها الديمقراطية في الغرب، الحرية في ظل القانون، إن هذه المقاربة تعتبر أنّ النظام القديم لم يكن نظاما دكتاتوريا كما تروّج لذلك أدبيات العهد الجديد لكنه كان نظاما يقوم على الاستبداد، وهو قاسم مشترك بين الجميع ولا تحتكره السلطة السياسية فحسب، الاستبداد ظاهرة اجتماعية وممارسة إنسانية متأصّلة في النفس البشرية والتأسيس للديمقراطية لن يكون بالنجاعة القصوى ما لم يتصدّ لهذه الروح الاستبدادية الجماعية بإعلاء سلطة القانون، فكل توظيف للحرية دون مقاومة للاستبداد يفضي إلى المزيد من العنف.

لقد أعادتنا صفعة عون الحرس المتسلّط إلى المربّع الأوّل رغم أنّ المسار يبدو للمبتهجين مضيئا لا سيّما بعد انطلاق جلسات هيئة الحرية والكرامة العلنية التي ستعيد الاعتبار إلى ضحايا الاستبداد، لكننا لم نخرج على ما يبدو من مأزق التناقض الحاد بين الفرجة التلفزيونية الرائقة والحياة اليومية المنهكة تحت وطأة التعب والفوضى، وهذه الدائرة المفرغة في حاجة إلى من يحطّمها قبل أن ينقسم البلد أكثر من ذي قبل إلى شعبين، شعب يمارس الديمقراطية ويتمتّع بها وشعب يشاهدها متثائبا من أمام الشّاشات.

ع.ب.

آمي للتأمين
AMI Assurances

GARANTIE

ASSISTANCE MOBILITÉ

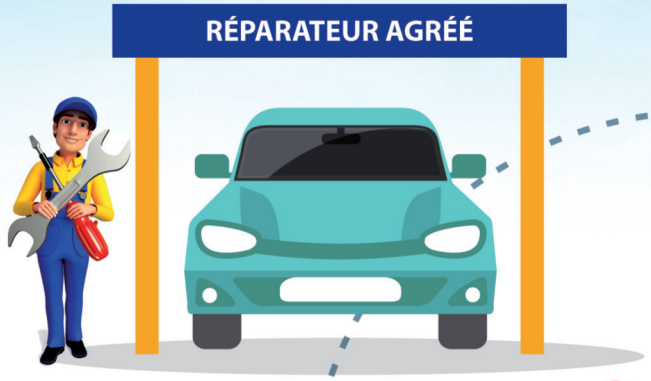

● **AMI** vous offre **gratuitement** le service généralisé de **prise en charge**

1ER SUR LE MARCHÉ

● **AMI** met à votre disposition **un véhicule de remplacement** pour vous « **particuliers** »

+

AMI offre **le service à domicile exclusivement pour vous** sous certaines conditions de souscription

N° VERT 80 102 787

AMI Assurances تأمينات

en partenariat avec Ga GÉNÉRALEASSISTANCE *Le contrat de tranquillité*

AMI : Cité les pins, Zone Nord Est, Les Berges du Lac II - 1053 Tunis / Tél. : (+216) 70 026 000 / Fax : (+216) 71 268 400 / E-mail : courrier@assurancesami.com / www.assurancesami.com

الإرهابيّون وعودتهم المحتمـ

تونس

شأنها شأن بقية الدول في العالم معنية بمكافحة الإرهاب الذي يخطّط للقضاء على الدولة باستهداف كلّ مقوّمات سيادتها، وذلك بغية بسط نفوذه وإعلان نظام حكمه على المناطق الترابية الواقعة تحت سيطرته.

ومن بين أهم مظاهر سيادة الدول ما هو متّصل بضمان حماية أمن المواطنين ولو كانوا خارج دائرة إقليمها. وغير خاف عنّا مدى قوّة الرسالة المعنوية التي تبثّها الدولة لدى مواطنيها عندما تنجح في ملاحقة مرتكبي الجرائم الإرهابية حتّى ولو فرّوا خارج إقليمها بما يعزّز الثقة في جاهزية الدولة على الصعيدين الوطني والدولي في بسط ولاية قضائها على كلّ من ينتهك أمنها وأمن مواطنيها.

لقد تابعنا من خلال المنابر الإعلامية وفي رحاب مجلس نواب الشعب وفي أوساط المجتمع المدني الجدل القائم حول فرضيّة عودة الإرهابيين الحاملين للجنسية التونسية إلى بلادنا وما ينجرّ عنها من استهداف مباشر لأمن تونس ولأمن المواطنين الذين أصبحوا هدف الإرهابيين الموجودين بالخارج، وهو أمر نخشى وصوله إلى هذا الحدّ لما يحمله من مخاطر لا حدود لها.

إزاء هذه الفرضية، انقسم الرأي العام في تونس إلى شقين إثنين. يرى الشقّ الأوّل أنّ عودة هؤلاء حقّ يكفله الدستور في فصله 25 الذي يحجّر سحب الجنسية من أيّ مواطن أو تغريبه أو منعه من العودة إلى الوطن، بينما تبنّى الشق الثاني الرأي المخالف على أساس أنّ صفة الإرهاب تنزع عن الإرهابيين شرف الانتماء إلى تونس بحكم ولائهم لتنظيمات إرهابية تستهدف أمن تونس وشعبها.

وبقطع النظر عن اختلاف المواقف حول عودة التونسيين المتورّطين في الإرهاب الموجودين بالخارج، فإنّ تسليط الجهود على الخطوات العملية التي ينبغي القيام بها لمعالجة هذه الفرضية قد يكون المخرج لمواجهة تحدّ مطروح اليوم على الصعيد الوطني.

فبالرجوع إلى المعطيات الرسمية المقدمة من وزير العدل ووزير الداخلية حول التونسيين المتورّطين في الإرهاب تتجلّى لنا الحقائق التالية:

- إرهابيّون موجودون بالخارج : 2929 شخصا
- إرهابيّون عادوا الى تونس من سنة 2012 إلى سنة 2016 : 800 شخص
- إرهابيّون موجودون بالجبال التونسية : 300 شخص
- إرهابيون موقوفون : 1464شخصا
- إرهابيّون محكوم عليهم : 183 شخصا
- نساء إرهابيّات: 30 إمرأة
- إرهابيون تحت الإقامة الجبرية : 300 شخص.

إنّ المبادرة بتقديم مثل هذه الإحصائيات الرسمية حول الإرهابيين هو مظهر من مظاهر الإقرار بحق المواطن في حصول المعلومة الرسمية الموثوق بها من قبل الأجهزة الرسمية للدولة حول جميع المسائل ذات العلاقة بالشأن العام ولا سيّما تلك التي تخصّ الجهود المبذولة في مجال حماية أمن تونس ومواطنيها إزاء خطر الإرهاب وعودة الإرهابيين إليها.

ولا يمكن في تقديرنا التعامل بنجاعة وشفافيّة مع مسألة عودة الإرهابيين ومواجهة تداعياتها المحتملة دون تقديم رسائل واضحة للرأي العام حول:

1. موقف الدولة الرسمي من فرضية عودة الإرهابيين، والذي لا يمكن أن يكون خارج منظومة حقوق الإنسان والشرعية الدولية التي التزمت دائما بها تونس على الصعيد الدبلوماسي.

2. عدد القضايا المتعلقة بفتح تحقيق قضائي ضدّ كلّ من تعمّد السفر خارج تراب الجمهورية بغاية ارتكاب إحدى الجرائم الإرهابية أو التحريض عليها أو لتلقّي التدريبات لارتكابها وفق الفصل 33 من القانون الأساسي عدد 26 لسنة 2015 المؤرخ في 7

ـلة: الرسّائل المطلوبة

أوت 2015 المتعلّق بمكافحة الإرهاب ومنع غسل الأموال تمهيدا لإيقاف ومحاكمة كلّ من يدخل منهم التراب التونسي بصفة قانونية أو خلسة.

3. عدد القضايا المتعلّقة بفتح تحقيق قضائي ضدّ كلّ من تعمّد التكفير أو الدعوة له أو التحريض على الكراهية أو التباغض بين الأجناس والأديان والمذاهب أو الدعوة لهما وفق الفقرة الثامنة من الفصل 13 من القانون الأساسي عدد 26 لسنة 2015 المؤرخ في 7 أوت 2015 المتعلّق بمكافحة الإرهاب ومنع غسل الأموال، وذلك لضمان عدم الإفلات من العقاب عن هذا الصنف من الجريمة الإرهابية باعتبارها توفّر الأرضية لبثّ الفكر المتطرّف والإرهاب.

4. عدد القضايا المتعلّقة بفتح تحقيق قضائي ضدّ كلّ من تعمّد التبرّع بالأموال أو جمعها أو تقديمها أو توفيرها مع العلم أنّ الغرض منها تمويل سفر أشخاص خارج تراب الجمهورية بقصد الانضمام إلى تنظيم إرهابي أو وفاق أو ارتكاب إحدى الجرائم الإرهابية أو بقصد تلقّي أو توفير تدريبات وفق الفصل 36 من القانون الأساسي عدد 26 لسنة 2015 المؤرخ في 7 أوت 2015 المتعلّق بمكافحة الإرهاب ومنع غسل الأموال، وذلك لضمان عدم الإفلات من العقاب عن هذا الصنف من الجريمة الإرهابية باعتبارها توفّر الأرضية للإسناد اللوجستي للإرهاب.

5. حجم الموارد والإمكانيات الضرورية الواجب وضعها على ذمّة القطب المختصّ في قضايا الإرهاب على مستوى القضاء والضابطة العدلية لضمان النجاعة المطلوبة في مجابهة الجرائم الإرهابية التي لا يمكن التصدّي لها بنفس وسائل جرائم الحق العام.

6. تبيان التدابير المتخذة لتنفيذ الاستراتيجية الوطنية لمكافحة التطرف والإرهاب التي تهدف إلى وضع الإجراءات العملية لمكافحة الإرهاب في إطار مقاربة تشاركية بين أجهزة الدولة ومكونات المجتمع المدني والتي من شأنها أن تزيل اللبس الحاصل بخصوص نقص التنسيق الناجع بين كلّ المتدخّلين في مكافحة الإرهاب وتوزيع الأدوار بينها على المستويات الأمنية والقضائية والدبلوماسية والإعلامية.

لقد تابعنا تصريحات الدبلوماسية الفرنسية بخصوص ابنة التونسيّيْن اللذين قتلا في الهجوم الإرهابي في اسطنبول والتي أصبحت تبعا لحملها أيضا للجنسية الفرنسية تحت نظام محضوني الدولة الذي كرّسه القانون الفرنسي ليس فقط لفائدة أبناء الأمنيين والعسكريين، وإنّما لكلّ أبناء ضحايا الإرهاب دون أيّ تمييز بغية توجيه رسالة قويّة حول الالتزام الأخلاقي للدولة والمجتمع سويا بتوفير الرعاية الفضلى لأبناء من سقطوا ضحاياه، سواء كانوا من بين الذين هم مكلّفون بحكم وظائفهم بمكافحة هذه الظاهرة أو كانوا من بين المواطنين الأبرياء المستهدفين منها.

وكم نحن في حاجة في تونس اليوم إلى رؤية واضحة تتّخذ في ضوئها مثل هذه الإجراءات العملية وتحدّد المسؤوليات والأولويات في مواجهة مخاطر الإرهاب، فمن واجب السلطات الثلاث أن تعمل بتنسيق أفضل في مقاومة هذه الآفة الخطيرة، كما أنّ من واجب المجتمع بأسره أن يكون متّحدا ومتضامنا في التصدّي لها.

س.د.

سامية دولة • قاضية، مكلفة بمهمة بديوان وزيرة المرأة والأسرة والطفولة

قطـــاع القـــوارص في تـــونس

وفرة في الإنتاج ونقص في التّرويج

خالد الشابي

تونس كلها خيرات وهي غنية بما حباها الله به من موارد طبيعية فلاحية قليلا ما نجدها مجمعّة بنفس الجودة في بلد واحد بفضل التّربة الخصبة والمناخ المتميّز. ألا يمثّل زيت الزيتون والتمور والغلال والخضراوات ثروة يمكن في صورة العناية بها وتوظيفها للتصدير أن تدّر على الاقتصاد الوطني مداخيل هامّة من العملة الصعبة يمكن أن تقترب من مداخيل الفسفاط مثلا؟

ها أنّ الأزمة الأخيرة في قطاع القوارص، التي تجلت في غضب الفلاحين وإلقائهم البرتقال في الشارع كما حصل سابقا مع البصل والحليب، تطرح من جديد ما يجب إيلاؤه من عناية للقطاع الفلاحي ليكون إحدى الدعائم الأساسية لاقتصاد تونس.

18 ولاية تنتج القوارص

رغم أنّ زراعة القوارص نشاط قديم في تونس إلا أنّ الطلب عليه بدأ يبرز منذ سنة 1918 فتكثّف الإنتاج وتطوّرت تجارة القوارص . وازدهر الإنتاج في منطقة الوطن القبلي باعتبارها تجمع كل الظروف المواتية لمثل هذه الغراسة بفضل توفّر الماء وثراء التربة وحرارة الشمس المعتدلة والمفيدة، إضافة إلى توفر العملة والفنيين المختصين . ثم توسعت غراسة القوارص فيما بعد لتشمل 18 ولاية مثل تونس وولايات الساحل والقيروان وسيدي بوزيد وباجة وجندوبة ... وتغطي غابات القوارص في تونس مساحة تقدر بـحوالي 27 ألف هكتار 75 % منها في ولاية نابل ويحتّل البرتقال والمندرين والكليمنتين نسبة 94 % من المساحة الجملية. ومع ذلك تعتبر هذه المساحة صغيرة بالنسبة إلى الأراضي الصالحة للزراعة في البلاد (أقل من العشر) كما تمثل 5 % من المساحات الجملية للأشجار المثمرة المغروسة. وتضم غابات القوارص حوالي 8 ملايين عود من القوارص تنتج أكثر من 40 نوعا يعتني بها حوالي 12 ألف فلاح جلّهم من صغار الفلاحين. وتعرف المساحات المغروسة قوارص تجديدا بـ 700 ألف عود مشتّل سنويا.

وعرف إنتاج القطاع تطوّرا ملحوظا منذ الاستقلال بفضل مراعاة المعايير الدولية في الانتاج والخزن والجودة وذلك لتلبية طلبات السوقين الداخلية والخارجية . ثم أصبح القطاع يتمتّع بهياكل دعم مثل المركز الفني للقوارص الذي من بين مهامه التّكوين والرّسكلة والإرشاد والمساهمة في مقاومة الآفات والأمراض والمحافظة على الجودة وكذلك مثل المجمع المهني المشترك للغلال المتخصّص في تعديل السوق والتصدير، هذا إضافة إلى الدور الذي يقوم به الاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري.

وفرة في الإنتاج

حسب السيد عماد الباي، رئيس الاتحاد الجهوي للفلاحة بولاية نابل، شهد موسم القوارص الحالي وفرة في الإنتاج الجملي للقوارص في البلاد التونسية حيث بلغت الكميات المنتجة حوالي 600 ألف طن مقابل معدل ما بين 350 و400 ألف طن للمواسم الأخيرة. وبالمقابل يبلغ معدل الاستهلاك المحلي حوالي 400 ألف طن.

ويوفّر هذا الانتاج القياسي لتونس هذا الموسم فائضا يقدّر بحوالي 200 ألف طن. وقد كشفت صعوبة التعامل مع هذه الزيادة عن المشاكل التي يعيشها القطاع من حيث غياب الاستشراف وعدم توفر استراتيجية واضحة للتعاطي مع تطوّر الجانب الكمّي لإنتاج القوارص وكيفية امتصاص الفوائض عندما تحدث. كما كشفت عن ضعف آليات الترويج والتحويل والتصدير الخاصة بهذا القطاع. وعزا السيد عماد الباي ذلك لعدة أسباب منها تذبذب حجم الإنتاج من سنة إلى أخرى وتراجع حجم تصدير المالطي التونسي الذي لا يوجد إلا في بلادنا وهو النوع الذي أعطى لتونس اسما تجاريا

تطوّر إنتاج القوارص (ألف طن)

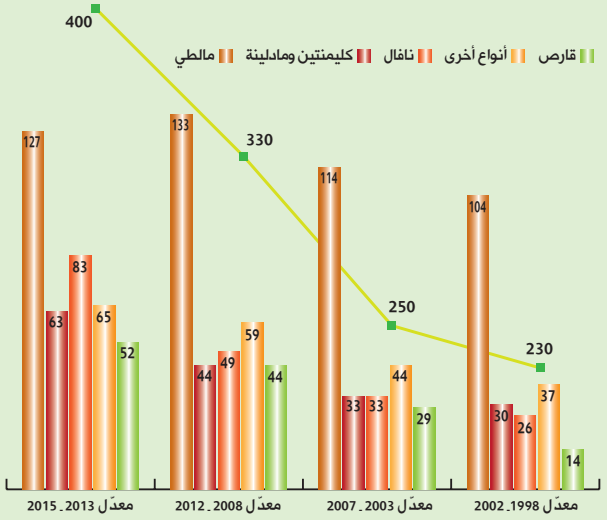

في السوق الفرنسية خاصة والتي إليها يصدّر. ففي الثمانينات من القرن الماضي كانت تونس تُصدّر 50 ألف طن واليوم تراجع حجم الصادرات إذ تمّ تصدير حوالي 23 ألف طن من البرتقال في الموسم الماضي 90 % منها من نوع المالطي أي حوالي 21 ألف طن، أما بقية الأنواع المصدّرة فهي الكليمنتين والطمسون والليمون، ممّا وفّر للاقتصاد التونسي حسب السيد عماد الباي حوالي 26 مليون دينار من العملة الصعبة، مع أنّ التصدير لا تتعهد به سوى 14 محطة كلها في ولاية نابل.

ويعود ذلك التراجع إلى ضعف الحملات الترويجية وضعف الإقبال على المالطي التونسي من قبل المستهلكين الفرنسيين الشبان الذين أصبحوا لا يفرّقون كآبائهم بين المالطي التونسي الفريد من نوعه والمالطي الوارد من بلدان أخرى، وكذلك بسبب اشتداد المنافسة عموما مع البلدان المصدّرة كالمغرب وإسبانيا ومصر وتركيا. وفي مجال إصلاح هذا الخلل يُبذل جهد لتصدير 25 ألف طن من المالطي هذا الموسم.

عوائق بالجملة

وحول الصعوبات التي تؤثّر في الإنتاج في هذا القطاع أكّد لنا أحد الفلاحين أنّها متأتية من شيخوخة أشجار القوارص (تغطّي الغراسات التي يفوق عمرها 40 سنة حوالي 34 % المساحة الجملية لغابات القوارص)، علما وأنّ المزاولين لهذا النشاط أغلبهم من صغار الفلاحين، إضافة إلى ترهّل عديد المسالك الفلاحية وارتفاع ملوحة المياه الجوفية في بعض المناطق بالإضافة إلى مديونية الفلاحين المترتّبة عن القروض الموسمية ويضاف إليها أخيرا صعوبة استرجاع الفلاح لمصاريفه بسبب تدنّي الأسعار هذا الموسم وعجزه عن ترويج إنتاج ضخم للتجار بأسعار معقولة.

جدولة الدّيون

وللوصول بالقطاع إلى برّ الأمان هذا الموسم يرى أحد الفلاحين ضرورة جدولة مديونية صغار الفلاحين الخاصّة بالقروض الموسمية ومساعدتهم بخصوص

تطوّر صادرات القوارص

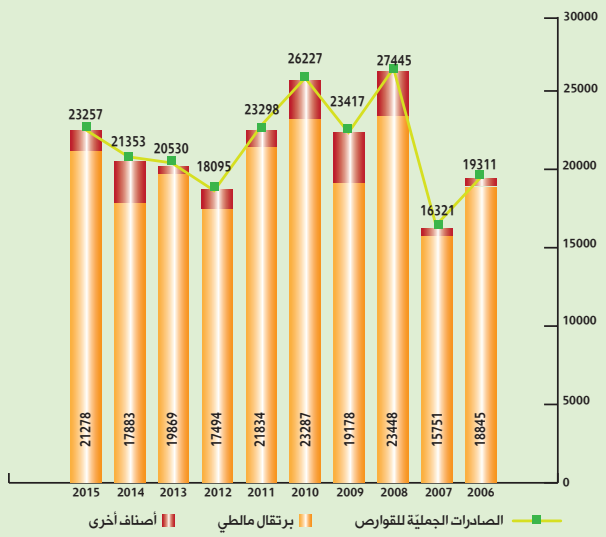

المبالغ المتخلّدة بذمتهم من استهلاك الماء والكهرباء. ودعا الفلاحين إلى عقلنة عملية الجني ليحصل بصورة تدريجية ممتدة في الزمن، كما اقترح استعمال النقل العسكري الجوي للتصدير إلى إفريقيا.

تشبيب الغابة وتطوير الصناعات التّحويليّة

وبخصوص الوفرة في الإنتاج يؤكّد السيد عبد الفتاح سعيد مدير المركز الفني للقوارص بأنه بالإمكان استهلاك الزيادة محليّا وباحترام الأسعار والتمديد في فترة العرض والخزن مع التصدّي للمضاربات. لكن لمزيد تطوير القطاع مستقبلا من الضروري العمل على تأهيله حتى يصل الإنتاج إلى حوالي مليون طن في السنوات الخمس القادمة وذلك بزراعة حوالي 700 ألف عود جديد في السنة لتعويض القديم وتشبيب الغابة وتطوير تصدير الأصناف الأخرى من القوارص وتطوير الصناعات التحويلية المشتقة من القوارص التي تعتبر محتشمة جدا، رغم أنّ تحويل البرتقال لا تنجرّ عنه أي خسارة، إذ تستغل كلّ مكوناته وذلك ببعث وحدة تحويل كل الغلال بما فيها القوارص يشترك في إنشائها القطاعان العام والخواص بهدف بلوغ تحويل 100 ألف طن إلى عصير مركّز (نكتار) تستورده تونس حاليا من الخارج. ودعا رئيس المركز إلى إحداث المصانع التي يمكن استغلالها أيضا لتحويل بقية الغلال وإلى تشجيع إنتاج العصير الطازج الذي لا تنتجه تونس إلا بقلة وإنتاج المربّى وتحويل القشور لاستعمالها في التوابل واستعمال زيوتها في مواد التجميل وتحويل مادّة الزهر إلى زيوت روحية واستخراج بزور البرتقال pulpe لتحويلها إلى عصير وتحويل البرتقال وقشوره إلى دواء لبعض الأمراض الانسانية والحيوانية وتحويل قشور البرتقال علفا للحيوانات.

فتح أسواق جديدة

ومن بين الحلول التي أشار إليها السيد عماد الباي، العمل على فتح أسواق خارجية جديدة لحل مشكلة التضخم في الإنتاج الحالية ووضع استراتيجية للتصدير من ذلك مزيد التصدير إلى السوق الجزائرية التي تستورد 60 ألف طن سنويا من إسبانيا بينما لا تصدّر تونس إلّا 4000 طن من المالطي الرقيق لفائدة مصنع بالجزائر يحوّله إلى بزور (هناك مصنع آخر في ألمانيا يستورد حوالي 500 طن لتحويله إلى بزور أيضا). كما أنه بالإمكان تطوير التصدير إلى ليبيا المقّدر حاليا بكميات محتشمة لأنّ السوق الليبية تزوّد خاصة من البرتقال المصري ، ويصبح البرتقال التونسي مطلوبا في ليبيا في غضون شهر أفريل لأنّ البرتقال التونسي يتواصل استهلاكه إلى فترات متقدمّة من كل سنة يمكن أن تصل إلى شهر جويلية، إضافة إلى ضرورة فتح أسواق في إفريقيا جنوب الصحراء حيث لا يوجد البرتقال التونسي. وأشار السيد مراد الباي إلى أن الدولة ستشجّع مصدّري القوارص إلى السوق الروسية إذ ستتكفّل بنسبة هامة من تكاليف النقل إلى روسيا وستضع على ذمة المصدّرين بداية من شهر جانفي الحالي 4 بواخر للغرض مما سيفتح المجال لتصدير حوالي 2000 طن من البرتقال بمختلف الأصناف. ومن بين الحلول أيضا الترويج المحلي للبرتقال بفتح أسواق من المنتج إلى المستهلك في كل الجهات لتشجيع الاستهلاك علاوة على جعل البرتقال عنصرا قارا في الوجبات الغذائية في المطاعم التابعة لوزارات الدفاع والتربية والتعليم العالي والداخلية والصحة والعدل.

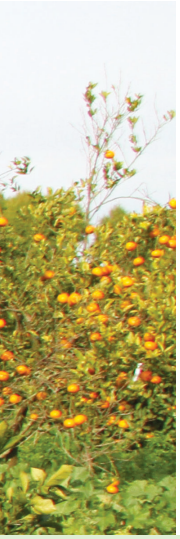

تصدير اللّيمون

ومن الآفاق الواعدة يذكر السيد عبد الفتاح سعيد مسألة تصدير الليمون الذي عليه اليوم طلب

توزيع الإنتاج حسب الأصناف

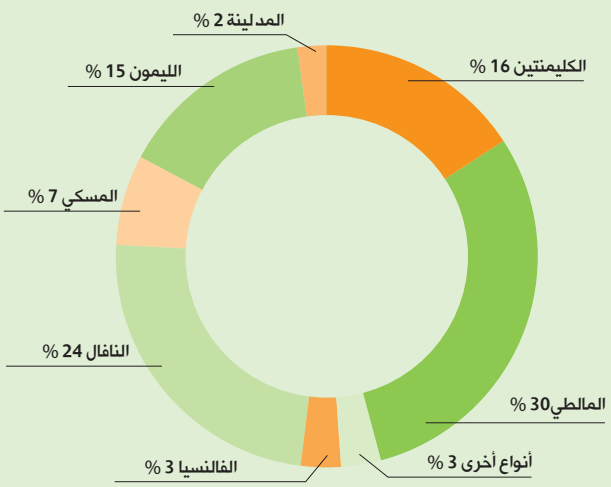

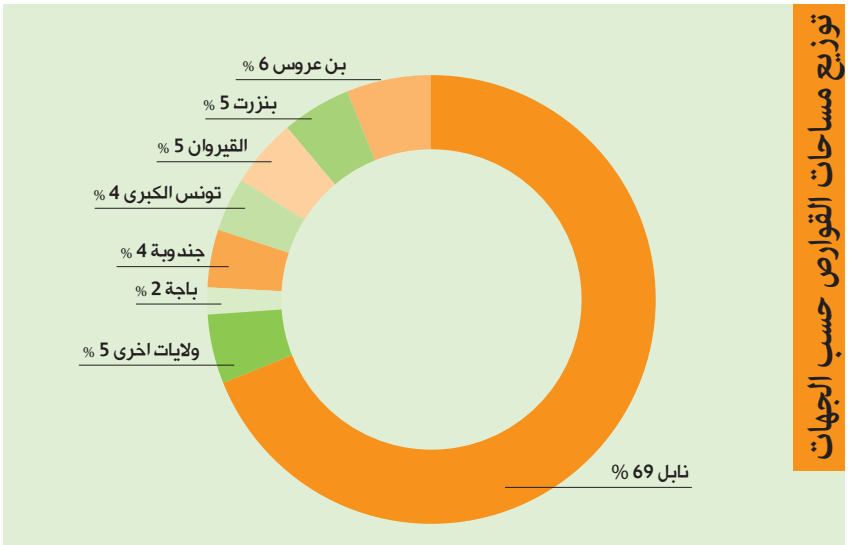

كبير بفعل نقص الإنتاج في بعض البلدان المنتجة لهذه المادّة بسبب أمراض فطرية أصابته كما قضت الآفة على القوارص في أمريكا اللاتينية أيضا فارتفع سعر الطن الواحد من عصير الليمون في الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أمريكا اللاتينية من 800 دولار سنة 2011 إلى 3800 دولار اليوم. وقد صدّرت تونس هذا الموسم حوالي 5000 طن من الليمون. وهذه الظروف تفتح المجال أمام تطوير سوق جديدة لتصدير عصير الليمون إذ أنتجت تونس 72 ألف طن من الليمون هذا الموسم.

خ.ش.

المنطقــة المغــاربيّــة والحــروب على «داعـــش»

تـــداعيـــات وتنبّـــؤات

د. فؤاد البطاينة

يتطرّق هذا المقال الوجيز إلى تداعيات الحروب على الموصل وحلب وسرت وتنبّؤات تقرير التّنمية الإنسانيّة العربيّة، وليست الغاية منه التفزيع أو بثّ روح التشاؤم في النفوس، وإنما إثارة الانتباه إلى جملة من المؤشّرات التي يُخشى أن تكون علامات متضافرة على اقتراب بلداننا المغاربية من منطقة اضطرابات خطيرة.

ويأتي على رأس هــذه الــمؤشرات الحروب المتزامنة الثــلاث التي شُنَّت أو يتواصل شنّها على مــا يسمّى بـ«الدولة الإسلامية في العراق والشام» في كلّ من الموصل العراقية وحلب السورية وسرت الليبية... فهذا التزامن لم يأت من باب الصدفة، وإنّما أتى، نتيجة قرار دولي وإقليمي هدفه الظاهر محاربة «الدولة الإسلامية»، أمّا هدفه الخفي فإنّ قادم الأيام كفيل بالكشف عنــه، بيــد أنّه بات من الواضــح منــذ الآن، ومن خــلال «ما حفّ» ويحفّ بالحروب الثلاث مــن مســاومــات وعمليات بيع وشراء أنّ المقصود ليــس القضاء على هذا التنظيم الإرهابي قضــاء مبرما، وإنّما قد يكون دفع مقاتليه إلى النزوح إلى وجهات معيّنة لتفعل فيها ما فعلت حيث هي الآن.

إنّ هذا ما يمكن استخلاصه من قول كاتب الدولة الأمريكي جون كيري مخاطبا الرّوس بخصوص إدارة الحرب على حلب: «مناطق نفوذ لنا وأخرى لكم وما بينهما نلعب بشرف!».

وانطلاقا من أنّ واشنطن تعتبر أنّ موسكو لم تحترم «التفاهمات» التي تمّت بينهما ولم «تلعب بشرف» في معركــة حلب فإنّهــا، على ما يبدو، ستعمل على ألاّ يكون الانتصار السوري الروسي في حلب انتصارا كاملا وقادرا على أن يجلب الاستقرار للنظام السوري، وللحضور الروسي والإيراني في سوريا.

ولا يستبعــد الملاحظون أن تقــوم واشنطن وحليفاتها التي برهنت خلال السنوات الأخيرة على قدرتها على تسخير الجماعات الإرهابية لخدمة أغراضها أن تواصل السيــر في نفس النهج مستقبلا... وما الحرص على فتح معابر لتمكين عناصر «الدولة الإسلامية» والتنظيمات الإرهابية المماثلة من الخروج من الموصل ومن حلب إلا دليل على أنّ لهذه العناصر مهمّات قادمة ينبغي أن تضطلع بها مستقبــلا.

وما يُخشى هو أن تمتدّ هذه المهمّات إلى مناطق أخرى ومنها منطقتنا المغاربية، وليس اللغط الدائر في تونس وفي غيرها من بلدان المغرب العربي الآن حول مسألة «عودة الإرهابيين» إلا تعبيرا عن هذه الخشية.

إنّ هــذه العــودة المخشيّة تحمل في طيّاتها مخاطر جمّة لعلّ أبسطها ما أثاره من جدل عقيم حــول نــزع الجنسية عن «الإرهابيين العائدين»، وكأنّ نزع الجنسية سيمنعهم من اجتيــاز الحدود خلسة أو علانية بتواطؤ من الخارج أو الداخل على حدّ سواء.

ولذلك فإنّ المطلوب هو إعداد العدّة للتعامل اليقظ مع كل الاحتمالات من خلال تعاون متعدّد الأبعاد: دبلوماسي وأمني واستخباراتي وقضائي وغيره مع مختلف دول العالم وخاصّة مع الدول التي استطاع تنظيم «الدولة الإسلامية» والتنظيمات الشبيهة، اختراقها، وذلك حتّى يتمّ تتبّع حركة هؤلاء الإرهابيين وملاحقتهم وإنزال العقاب المستحقّ بهم.

ولعلّه ممّا يدعو إلى مضاعفة اليقظة أن إثارة مسألة «الإرهابيين العائدين» تزامنت مع صدور تقرير التنمية الإنسانية العربية الذي «بشّرنا» في جملة ما «بشّرنا» به بأنّ موجة جديدة من ثورات «الربيع العربي» بدأت تلوح في أفق

الحرب على الموصل

الحرب على حلب

الحرب على سرت

بلدان شمال إفريقيا والشرق الأوسط التي بات الوضع في بعضها أسوا ممّا كان عليه قبل موجة ثورات سنة 2011. وفي معرض تبرير «بُشْرَاهُ» يؤكّد التقرير أنّ الشباب العربي المحبط من الانتخابات ومن مظاهر التمييز والإقصاء، أصبح يفضّل الاحتجاج والتظاهر وقد يتوجّه نحو استخدام المزيد من الوسائل الأعنف، خصوصًا بعدما تبيّن له أنّ الآليات القائمة على المشاركة والمساءلة عديمة الفائدة.

ويضيف التقرير أنّ الأنظمة العربية لم تستفد من دروس «الربيع العربي» الأول، فهي لا تزال تتعامل بقسوة مع المعارضات السياسية والشعبية، وهي لا تزال أيضا تنفق الأموال الطائلة على الأمن والدفاع على حساب التنمية والتشغيل وهي لا تزال عاجزة عن معالجة الفساد المستشري وحلّ مشاكل التّعليم والصحة، والحدّ من تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما يؤجّج لدى الشباب مشاعر السّخط التي تتحوّل، بأبسط قادح، إلى حالة غضب عارم.

وإذا لاحظنا أنّ هذا التقرير الصادم يلتقي مع التقرير المماثل الذي أصدره «معهد انتربرايز الأمريكي American Enterprise Institute» والذي يضع بلادنا على لائحة البلدان المرشّحة لمواجهة اضطراب سياسي مستقبلا، وإذا وضعنا في اعتبارنا الوضع المعقّد في ليبيا وما يجري هذه الأيام في الجزائر، وما جرى في المغرب خلال شهر أكتوبر الماضي على إثر حادثة طحن بائع السمك في مدينة الحسيمة، فإنّ الواجب يدعونا إلى أن نأخذ هذه «النذر» مأخذ الجدّ وأن نحذّر كل الحذر ممّا قد تخبئه لنا الأيام القادمة من انزلاقات محتملة، لا سيّما وأننا لم نستطع حتى الآن وبعد مرور سنوات ست على «الثورة» أن نزاوج نجاحنا في الحفاظ على استقرار بلادنا وفي تأمين انتقال سلطتها السلمي بنجاح مماثل على صعيد تحسين ظروف عيش مواطنينا الاقتصادية والاجتماعية./.

م.ا.ح.

kevin kurdish

الحرب ضدّ داعش وحلم الأكراد بالاستقلال

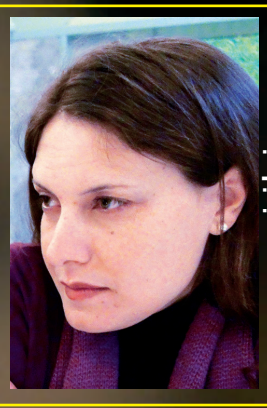

حنان زبيس

كغيري من التونسيين لم تكن معرفتي عميقة بالقضية الكردية ولم أكن أحمل في ذهني سوى صورة الجنود الأكراد المقاتلين في صفوف حزب العمال الكردستاني في معاركهم ضدّ الجيش التركي في جنوب تركيا أو صور ضحايا مأساة حلبجة عندما قصف صدام حسين الأكراد في شمال العراق بالغاز الكيميائي في الأيام الأخيرة للحرب العراقية-الإيرانية سنة 1988. ولم أكن أظن يوما أنني سأعيش بين أحضان الشعب الكردي على أرضه، بل وسأتزوّج منه.

كان انتقالي للعيش في كردستان العراق في ربيع 2014 وتحديدا في أربيل عاصمة إقليم كردستان الذي يتمتع بحكم ذاتي منذ تدخل الأمريكان لإعلانه منطقة حظر للطيران بعد حرب الخليج الأولى.

أربيل كانت مثلا للمدينة المزدهرة التي تشهد نموّا متسارعا بعد سقوط نظام صدام حسين في 2003 وبداية تمتّعها بخيراتها وتحديدا البترول. خلال عشر سنوات تحوّلت من قرية صغيرة إلى مدينة عصرية ببناءات شاهقة وشوارع جميلة وواسعة وفنادق فخمة ومراكز تجارية مزدهرة. أصبحت تشبه بلدان الخليج حيث ترى الرفاه وتشتم رائحة الدولارات في كل مكان. ولا عجب أن أطلق عليها اسم «دبي الصغيرة»، نظرا للتشابه في البناءات والرخاء والرغبة في الصعود السريع لمصاف المدن ذات القوة الاقتصادية في الشرق الأوسط.

وإلى حدود 2014، كانت أربيل قبلة المستثمرين من جميع أنحاء العالم وخاصة الأتراك والخليجيين واللبنانيين كمدينة اقتصادية مزدهرة ولكن أيضا كمنطقة سياحية نظرا لما تتمتع به من طبيعة خلابة وبنية تحتية فندقية ذات جودة عالية، بالإضافة إلى مناخ من الاستقرار السياسي والأمني على خلاف بقية البلاد العراقية. ولاعجب أن تمّ اختيارها «عاصمة السياحة العربية 2014» من قبل المنظمة العربية للسياحة.

ولكن دخول داعش الى العراق واستيلاءه على مدينة الموصل في 10 جوان 2014 قلب كل المعادلات. فانطفأ بريق المدينة فجأة وغادرها السياح والمستثمرون وتوقّفت الحركة الاقتصادية فيها وأصبحتَ تتجول بين شوارعها لتعترضك في كل شارع بناءات خالية، غير مكتملة كعلامة على المشاريع المتوقفة الى أجل غير مسمّى، وكأنّ قدر المدينة هو أن تجد نفسها دائما في قلب كل الأحداث والحروب التي تعصف بالمنطقة، فبرغم كل محاولات الأكراد في العراق أن يبنوا لأنفسهم وطنا آمنا ومستقلا ومزدهرا اقتصاديا، إلا أنهم لم يستطيعوا الهروب من رحى المعارك

التي تدك الشرق الاوسط، ليبقى عدم الاستقرار، الطابع الغالب على حياتهم ومصيرهم.

سقوط الموصل وانعكاسه على الأكراد في العراق

سقوط الموصل أثّر بشكل كبير في الأكراد وفي استقرار منطقتهم. فبحكم وجود الموصل على أطراف إقليم كردستان العراق، وجد الأكراد انفسم في تماس مباشر مع داعش. فأربيل مثلا تبعد حوالي 90 كيلومترا عن الموصل، في حين تبعد عنها دهوك، إحدى المدن الثلاث الأساسية في الإقليم، 60 كيلومترا. وقد أدّى هذا التقارب الجغرافي إلى تدفق آلاف النازحين من الموصل من شيعة ومسيحيين وأكراد وشبك (شيعة الأكراد) إلى مدن الإقليم ليجد نفسه أمام

أزمة من أعمق الأزمات الإنسانية التي مرّ بها. فالإقليم الذي يضمّ حولي 5 ملايين ساكن اضطر لايواء ما يزيد عن مليون نازح جاؤوا من كامل سهل نينوى لينضافوا إلى قرابة 300 الف لاجئ سوري معظمهم من أصل كردي احتموا بالإقليم هروبا من أتون الحَرب في سوريا. وهو ما أجهد بشكل كبير البنية التحتية الهشة وعمّق أزمة الكهرباء مع انقطاعات متكررة وإمداد بالكهرباء الوطني لا يتجاوز العشر ساعات يوميا في جوّ قائظ تقارب درجات الحرارة فيه الخمسين درجة.

لكن الأسوأ بالنسبة إلى الأكراد كان هجوم داعش على الإقليم في صائفة 2014 واستيلاؤه على بعض المدن الملاصقة له والواقعة تحت سيطرة الأكراد مثل سنجار وزمار التي تتميز بآبارها النفطية ووصوله إلى تخوم أربيل لولا تدخّل القوات الأمريكية لصده وإنشاء التحالف الدولي لمقاومة الإرهاب. لم يتوقع الأكراد أن يهاجمهم مقاتلو الدولة الإسلامية لأنّه إلى حدود صيف 2014 كانوا يعتقدون أنّ هجوم مقاتلي التنظيم على العراق واستيلاءهم على الموصل كان ينضوي ضمن الصراع بين السنة والشيعة في المنطقة بشكل عام وفي العراق بشكل خاص. كما أنّ الأكراد هم أصلا من السنة وكانت تربطهم علاقة تعاون مع التنظيم، حيث كانوا يبيعون له النفط ويسمحون بتمرير الغذاء والسلاح له من تركيا نحو الموصل، بالإضافة إلى أنّ مسعود البارزاني، رئيس إقليم كردستان العراق لم يدل بأيّ تصريح عدائي ضد داعش بعد سقوط الموصل. لذلك تفاجأ الأكراد بأنّ حليف الأمس انقلب عليهم فجأة وأجبرهم على دخول الحرب.

ظهور النوايا الاستقلالية من جديد

دخول الأكراد إلى الحرب ساعد على تحريك القضية الكردية من جديد داخل العراق وخارجه، وتحديدا النوايا الاستقلالية للأكراد، سواء كانوا في العراق أو سـوريا أو تركيا. فالانتصارات المتتالية لقوات البيشمركة الكوردية ضد مقاتلي تنظيم الدولة الاسلامية، بمساعدة قصف طائرات التحالف وتمكّنهم من استرجاع كامل الاراضي التي كانت خاضعة للسيطرة الكردية بعد أن استولى عليها التنظيم في شمال العراق، حرّك عندهم من جديد حلم الاستقلال عن باقي العراق، خاصة مع تواصل الخلافات مع السلطة المركزية في العراق حول نصيب الأكراد من ميزانية الدولـة الذي يبلـغ 17 % والذي امتنعت السلطات العراقية عن تقديمه للأكراد منذ 2014، في ظلّ إصرارهم على بيع نفطهم بأنفسهم لتركيا وعبرها وعدم ضخّه إلى السلطة المركزية.

من جهة أخرى، فإنّ دخول حزب العمال الكردستاني على خطّ الحرب ضد داعش في سوريا ثم في العراق،

وتحديدا في منطقة سنجار الحدودية بين البلدين، أعطى للقضيـــة الكرديـــة بعدا جـديدا وأصبح الحديث عن إعادة إنشاء «كردستان الكبرى» بأجزائها الأربعة في العراق وسوريا وتركيا وايران، بعد تقسيمها إبّان اتفاقية سايكس بيكو، أمرا جديا وبدأ التنسيق في هذه البلدان لإيجاد رؤية واحدة من أجل تحقيق هذا الحلم العزيز على كل كردي أينما كان. وهنا لابد أن لا ننسى أنّ مشاركة بيشمركة العراق في الحرب جنبا إلى جنب مع وحدات حماية الشعب الكردية (الجناح المسلّح لحزب العمال الكردستاني في سوريا) في الدفاع عن كوباني وتحريرها من حصار داعش في بداية 2015، عمّق لدى الأكراد الإحساس بأنهم أمة واحدة وأنه قد حان الوقت للاتحاد من جديد. كما أنّ اتصالات سرية بدأت في نفس الفترة بين السلطات في كردستان العراق وعبد الله أوجلان، مؤسس حزب العمال الكردستاني، في سجنه لبحث إمكانية تنفيذ حلم الأكراد بوطن واحد يجمعهم ويكون شكله أقرب إلى الكونفدرالية. لكن تركيا أردوغان ما كانت لتسمح لهذا الحلم أن يتحقق وظلت تتابع بقلق كبير انتصارات حزب العمال الكردستاني بجناحيه في سوريا والعراق وهو يحقق الفوز تلو الآخر ضد داعش، خاصة بعد أن كسب دعم الامريكان وقوات التحالف التي رأت في الأكراد القوة الوحيدة القادرة على مجابهة الإسلاميين المتطرفين على الأرض.كما أنّ إعلان الأكراد الحكم الذاتي في المناطق التي يسيطرون عليها في سوريا كمنطقة الجزيرة وكوباني، أشعر تركيا بأن الخطر أصبح يتهدد وحدتها، فما كان منها إلاّ أن استانفت في جويلة 2015 هجوماتها على مواقع حزب العمال في العراق وسوريا، ممّا أجبر هذا الأخير على نقض الهدنة التي كان قد أبرمها مع الحكومة التركية. كما أنّها تغلغلت في المناطق التي يسيطر عليها الأكراد في سوريا في إطار مشاركتها في الحرب على داعش. ودخلت أيضا إلى التراب العراقي حيث وضعت قواتها في بعشيقة قرب الموصل وتدخلت في حرب استعادة الموصل دون أن يطلب منها أحد ذلك، هذا إلى جانب ضغطها على حليفها مسعود البارزاني، رئيس إقليم كردستان، للتصدّي للنفوذ المطرّد لحزب العمال في كردستان العراق.

ما بعد الحرب على داعش

مع قرب انتهاء الحرب على داعش في العراق، تُطرح مسالة تسوية وضعية القرى والمدن التي حرّرتها قوات البشمركة الكردية من قبضة التنظيم في سهل نينوى، حيث يرفض الأكراد تسليم هذه المناطق ويريدون التعامل مع السلطة المركزية بمبدإ «الأرض لمن يحرّرها». وتندرج هذ السياسية من قبل الأكراد في إطار طموحهم إلى ضمّ المناطق المتنازع عليها بينهم وبين السلطة المركزية والتي تحددها المادة 140 من الدستور العراقي، حيث توجد على الحدود المباشرة للإقليم ويريد الأكراد ضمّها إليه لأنها تضم سكانا أكرادا وهي مناطق تقع في سهل نينوى، وفي محافظة كركوك و ديالى.

ولعلّ الطموح الأكبر للأكراد بعد خروج داعش من العراق هو إعلان استقلالهم الذاتي وتكوين دولتهم في شمال البلاد، حيث بدأت السلطات في كردستان العراق تلوح منذ أن بدات الاستعدادات لحرب الموصل بضرورة القيام باستفتاء لإعلان الدولة الكردية المستقلة. وقد بات مسعود البارزاني، رئيس الإقليم، يصرّ في خطاباته على ضرورة تأسيس دولة مستقلة. بعض الملاحظين يعتبرون أنّ ذلك من قبيل المناورة السياسية لإيجاد مخرج للأزمة السياسية العميقة التي تعصف بالاقليم منذ أكثر من سنة ونصف بسبب مسألة الرئاسة، حيث انتهت ولاية البارزاني كرئيس منذ أوت 2015 ولا يحق له الترشح لولاية أخرى إلا إذا تم تعديل قانون رئاسة الإقليم

وهو أمر مستحيل نتيجة تعطل أعمال البرلمان منذ أكتوبر 2015. ولم تنجح الأحزاب الكرديّة المتصارعة في إيجاد البديل.

وتتعمق الأزمة السياسية أكثر أمام تعالي بعض الأصوات الحزبية لتقسيم الإقليم إلى نصفين كما كان الحال إبّان الحـــرب الأهلية الكـــردية (1994– 1998)، نصف يحكمه الحزب الديمقراطي الكردستاني (وهو الحزب الحاكم) يضم أربيل ودهوك وهو شق قريب من تركيا ونصف آخر يحكمه الاتحاد الوطني الكردستاني وحركة التغيير ويضم السليمانية وحلبجة وهو شق قريب من إيران ليخيم من جديد على الإقليم شبح الانقسامات والحرب الأهلية التي سادت في أواسط التسعينات من القرن الماضي بين الحزبين الرئيسيين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني.

وتنضاف إلى هذه الأزمة السياسية العميقة، أزمة اقتصادية خانقة. فالإقليم الذي انتهج سياسية التصادم مع السلطة المركزية أدّت إلى حجب نصيبه في ميزانية العراق، وجد نفسه اليوم عاجزا عن دفع رواتب موظفيه بصفة منتظمة وعلى توفير الخدمات الأساسية لمواطنيه من كهرباء ونفط أبيض للتدفئة، بل إنّه اضطر عديد المرات إلى الاقتراض من تركيا لتسديد نفقاته. كما تبيّن أنّ توليه بيع نفطه بنفسه لم يجلب الثراء والرخاء المأمول، بما أنّ تركيا استغلت خروج النفط الكردي عبر أراضيها وهو المنفذ الوحيد لتصديره لتفرض أسعارا زهيدة لبيعه، لا تكفي الإقليم لسدّ حاجياته. زد على هذا كله أنّ الحرب مع داعش وأزمة اللاجئين استنزفت موارد الإقليم بشكل كبير.

يبقى حلم الأكراد بالدولة المستقلة سواء في العراق أو في سوريا رهين الأوضاع في المنطقة وما سيسفر عنه انتهاء الحرب مع داعش في البلدين من واقع جديد على الأرض و تحديدا ما ستقرّره القوى الكبرى مثل روسيا وأمريكا وإيران بشأن الشكل الجديد لمنطقة الشرق الأوسط..

ح.ز.

البنك الوطني الفلاحي
BNA

Le défi d'une banque universelle

Depuis sa création en 1959, la **BNA** n'a cessé d'être à **l'avant-garde** de la scène économique et financière, et **s'impose aujourd'hui** sur la place non seulement comme une **banque de financement de l'agriculture**, mais s'affirme comme une **banque universelle, citoyenne** et plus proche de ses clients. Banque moderne, son **savoir-faire et son expertise** n'ont fait que la consolider comme un acteur incontournable de la **réussite** personnelle et professionnelle, particulière et nationale.

La banque de tous les défis

Pour plus d'informations, visitez notre site : **www.bna.tn** ou contactez l'une de nos agences.

Adresse : Rue de Syrie-1002 Tunis Belvédère - Phone : +216 71 831 000 / + 216 71 831 200 - BNAphone : 88 40 00 20 - Email : bna@bna.com.tn - N° Vert : 80 100 505

إنّما الأُمم الكتاب ما بقيتْ ...

د. الحبيب الدريدي

وأيُّ أثر يُمكن أن يشهد على الأمّة سوي فكرها؟ وأيّ معنى أدل عليها من عقلها وعبقريّتها ؟ وأيّ رمز ألصق بها من ألوان إبداعها ؟ وأيّ صوت أجهر من صوت ثقافتها ؟ وأيّ لسان أفصح من آدابها ؟ وأيّ حديث أبلغ من فنونها ؟ إذ لا يبقى للأمّة بعد أن يخمد تناوشها ويخفت صخبها ويسكن جدالها إلّا خلاصة عقلها وحصيلة ثقافتها وفكرها.

وإنّك لا تجد كالكتاب موئلا للفكر المستنير ومحملا للثّقافة الجادّة والمعرفة المحقّقة المُنزّهة، وقديما قال الجاحظ : «يجمع من التّدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصّحيحة ومحمود الأذهان اللّطيفة ومن الحكم الرّفيعة والمذاهب القويمة والتّجارب الحكيمة ومن الإخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والأمثال السّائرة والأمم البائدة ...» (كتاب الحيوان، ج 1، ص42)

ولذلك احتفت الأمم المتحضّرة بالكتاب وأعلت شأنه ومنزلته وأقامت له الأعياد والمعارض والأيّام. وقد عرفت تونس الاحتفاء بالكتاب منذ أواسط

سبعينات القرن الماضي فأنشأت معرض تونس الدّولي للكتاب الذّي بدأ غضّ الإهاب فتيّا ثمّ بلغ عنفوانه بين ثمانينات وتسعينات القرن الماضي قبل أن تتعدّد المعارض المماثلة في جلّ العواصم العربيّة ويطرأ من تقلّبات السّياســـة والأمن والاقتصاد ما أفقده الكثير من بريقه وإشعاعه.

وها نحن نتطلّع إلى دورة جديدة ستلتئم بعد بضعة أسابيع لعلّها أن تردّنا إلى الأمل الواعد وتعدل بنا إلى الطّمأنينة الرّاضية. وفي انتظار ذلك شغلتنا ملاحظات كرهنا أن تُترك محفوظات وعلقتنا خواطر أحببنا أن تُنشر سافرات.

دعم دون المأمول

لا تثريب أن نُقرّ بأنّ الكتاب التّونسيّ يعيش أزمة حقيقيّة ما فتئت تستفحل جرّاء ارتفاع كلفة إنتاجه ومحدوديّة مسالك توزيعه. فلئن نشطت منذ سنوات حركة إنتاج الكتاب التّونسي تأليفا ونشرا فإنّ منظومة الحوافز والتّشجيعات ظلّت ضعيفة، من ذلك أنّ صندوق التّشجيع على الإنتاج الأدبيّ والفنّي لا تتجاوز مخصّصاته للكتاب نسبة 6 %. أمّا الميزانيّة المخصّصة لدعم الورق فلم تتجاوز سنة 2015 مبلغ 800 ألف دينار في حين يُقدَّر حجم المنشورات التّونسيّة في مجال الكتاب الثّقافي بما يزيد عن 1700 عنوان كلّ سنة دون اعتبار الكتاب المدرسي والمنشورات الرّسميّة، معنى ذلك أنّ دعم النّسخة الواحدة لا يتجاوز بضع عشرات من المليّمات! (إذا اعتبرنا أنّ معدّل السّحب من كلّ عنوان يُقدّر بـ 3 آلاف نسخة). وأمّا الميزانيّة المخصّصة لاقتناء الكتاب التّونسيّ فكانت في حدود 1.2 مليون دينار فقط خلال السّنة نفسها، وهو رقم هزيل دون شكّ يعكس غربـــة الكتاب في هذه الدّيار.

غياب دور النّشر الكُبرى

في ضوء هذه المعطيات البليغة في الدّلالة على مجافاة الكتاب والاستهانة به يمكن أن نفهم بعض أسباب تراجع مردوديّة معرض تونس الدّولي للكتاب والزّهد في الإقبال عليه.

ولعلّ التّجليّ الأبرز لهذا التّراجع هو عزوف دور النّشر العريقة والجادّة في البلاد العربيّة عن المشاركة في هذه التّظاهرة مشاركة فعليّة ومباشرة مثل الدّور اللّبنانيّة ذات الصّيت العلميّ المعروف على غرار «دار المشرق» و«دار العلم للملايين» ودار العودة» و«دار الآداب» و«دار الأندلس» و«دار القلم» و«دار الكتاب العربيّ» و«دار الآفاق الجديدة» و«دار الكتب العلميّة» و«دار إحياء التّراث العربيّ»، أمّا «مكتبة لبنان» و«دار الطّليعة» و«المكتبة العصريّة» فلم يكن لها في الدّورة الأخيرة إلّا حضور محدود ومحتشم. وكذلك الشّأن بالنّسبة إلى دور النّشر المصريّة فهي إمّا غائبة مثل «مكتبة الخانجي» و«البابي الحلبي» و«مكتبة الأنجلو» و«نهضة مصر للطّباعة والنّشر» و«الهيئة العامّة لقصور الثّقافة» و«منشأة المعارف بالاسكندريّة» أو محدودة الحضور مثل «دار المعارف» و«دار الكتاب المصريّ».

وقد يزعم البعض بأنّ عددا من هذه الدّور شارك في الدّورات الأخيرة للمعرض، ولذلك لا بدّ من الإشارة إلى أنّنا نُميّز في هذا الصّدد بين الحضور الفعليّ المباشر وهو يتمثّل في المشاركة بالرّصيد الأوفر من منشورات الدّار والاستقلال بجناح خاصّ في المعرض وبين المشاركة «الرّمزيّة» التّي تتمّ عن طريق بعض ممثّلي هذه الدّور بتونس، وهـــي لا تتجاوز عرض عدد قليل جدّا من العناوين التّي يجدها القارئ يوميّا في محلّات بيع الكتب. بل إنّ ظاهرة المشاركة من خلال «النّيابة» و«التّمثيل» هي مظهر آخر من مظاهر انحسار المعرض وتراجعه.

أمّا دور النّشر الغربيّة فقد انقطعت عن المشاركة الفعليّة منذ سنوات عديدة فلم نعد نلحظ أجنحـة لدور كبرى مثل Seuil و Gallimard و PUF و Bordas و Minuit و L'Harmattanوغيرها، وأضحى الأمر مُقتصرا على عدد محدود من العناوين القديمة التّي أصدرتها هذه الدّور تُعرَضُ في الأجنحة التّابعة لبعض المكتبات الموجودة في تونس.

على أنّ الأمر الإيجابي الذّي لا بدّ أن نسجّله لمعرض تونس الدّولي للكتاب هو كثافة الأنشطة الثّقافيّة واللّقاءات الفكريّة والأدبيّة التّي تُقام بمناسبة المعرض والتّي كان لها أثر واضح في إدخال حركيّة لافتة على هذه التّظاهرة، وقد شكّلت فرصا لمحاورة شخصيّات أدبيّة وأكاديميّة مرموقة من تونس وسائر البلاد العربيّة وتطارح قضايا على قدر بالغ من الأهميّة.

من أسباب التّراجع

وليس من الإنصاف أن نعزو تراجع المعرض إلى القائمين على شؤونه، فلم تخل دورة من بعض الاجتهادات المحمودة الدّالة على حماسة للكتاب وللشّأن الثّقافي عامّة وعلى إرادة للارتقاء بمستوى التّظاهرة. غير أنّ تضافر جملة من الأسباب جعل المعرض يتقهقر من دورة إلى أخرى:

• يُعتبر حجم الميزانيّة المرصودة لتنظيم المعرض ضئيلا وغير كاف بالقياس إلى طموحات هذه التّظاهرة وما تتطلّع إلى إنجازه في ظلّ منافسة عاتية من معارض أخرى أخذت تتكاثر مشرقا ومغربا.

• تواترت التّغييرات على رأس إدارة المعرض وهيئته المنظّمة، وهو أمر لا يُمكّن من ضمان الاستقرار والاستمراريّة اللّازمتين لوضع استراتيجيات عمل طويلة المدى وإرساء تقاليد راسخة في البرمجة والتّنظيم، ولا يسمح بربط صلات متينة مع النّاشرين ونسج علاقات دائمة مع سائر المتدخّلين بما يكفل النّجاح المرجوّ لهذه التّظاهرة.

• يتمّ الإعداد للمعرض في حدود زمنيّة ضيّقة لأنّ المدّة التّي تتاحُ للهيئة من أجل إعداد التّظاهرة والتّحضير لمختلف فقراتها مدّة قصيرة، ذلك أنّ المدير يُعيّن قبل أشهر قليلة من موعد إقامة المعرض، وهو يحتاج قدرا من الوقت لاختيار فريقه ومعاونيه والانطلاق الفعليّ في العمل، ومن شأن هذا الضّغط الزّمنيّ أن يدخل الضّيم على نوعيّة الأداء ويؤثّر سلبا في كيفيّة الاشتغال على مختلف محاور التّظاهرة.

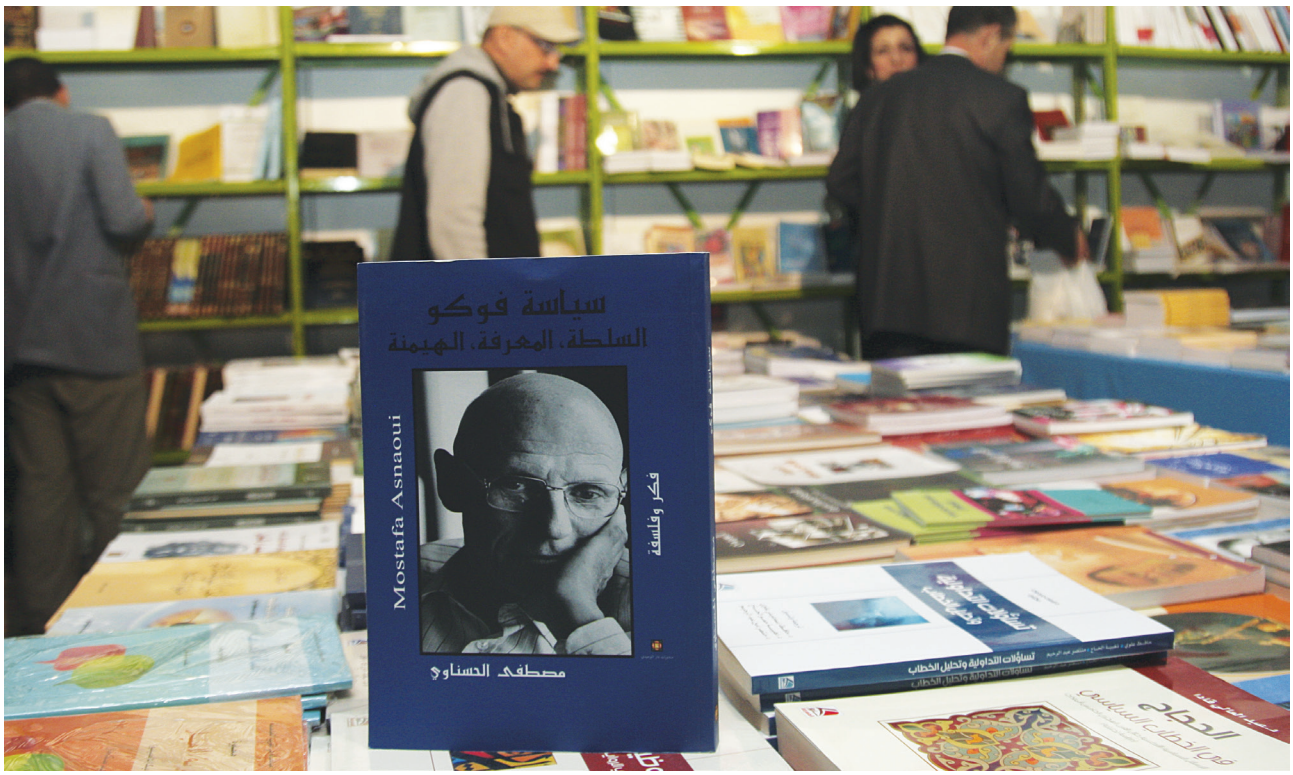

• أشرنا آنفا إلى أنّ معرض تونس الدّولي للكتاب يلقى منافسة شديدة من قبل معارض الكتاب في سائر البلدان العربيّة، ففضلا عن أنّه كان يتزامن مع معرض الكتاب بالبحرين فإنّ خارطة المعارض العربيّة وروزنامتها تجعل المواعيد متقاربة بما لا يُمكّن النّاشرين من المشاركة في كلّ المعارض. ولا بدّ من الإقرار في هذا السّياق بأنّ تنافسيّة معرض تونس تُعدّ ضعيفة بسبب ارتفاع معاليم مشاركة النّاشرين وازدياد كلفة الشّحن.

• لا خفاء أنّ الإقبال على اقتناء الكتاب في تونس ضعيف جدّا لأسباب عديدة منها تدهور القدرة الشّرائيّة وتضخّم أسعار الكتب بما جعل اقتناءها ضربا من التّرف والكماليّات ومطمحا بعيد المنال بالنّسبة إلى كثير من الفئات المعنيّة بالقراءة ولا سيّما الطّلبة والمربّين. وهنا يضحى تدخّل الدّولة ضروريّا ومُتأكّدا لمزيد دعم الكتاب باعتباره أداة البناء الحضاري الأكثر نجاعة وفاعليّة في مقاومة تسطّح الوعي وتصحّر الفكر وفي التّصدّي للوثوقيّة والتّحجّر والتّطرّف وتحصين النّاشئة من الوقوع في مزالق الظّلاميّة والانغلاق.

مقترحات لاستعادة البريق

وإذا كان قد تبيّن أنّ الرقيّ الحضاريّ يُبنى على الكتاب وأنّ يقظة الفكر لا تتحقّق إلّا بالكتاب فمن الضّروريّ أن تُفرد الكُتب الجيّدة وكلّ المتدخّلين في تصنيعها ونشرها وتوزيعها بدعم خصوصيّ وإسناد استثنائيّ وأن يّتجه اهتمام القائمين على شؤون الثّقافة إلى تعزيز منزلة الكتاب في برامجهم ومخطّطاتهم.

ولعلّ أوّل خطوة في هذا الاتّجاه هي إعادة البريق إلى معرض تونس الدّولي للكتاب وتعبئة كلّ الإمكانيّات الكفيلة بإرجاعه إلى سالف ريادته وإشعاعه. وفي هذا الإطار تجدر المبادرة إلى وضع خطّة تحرّك مُحكمة لاستقطاب دور النّشر الكبرى عربيّا وعالميّا، وسيتطلّب ذلك دون شكّ بعض الإجراءات من قبيل :

التّرفيع في ميزانيّة المعرض

• تفعيل دور المُلحقين الثّقافيين بالسّفارات التّونسيّة بالخارج في المساعدة على استحثاث كبار النّاشرين والوجوه الثّقافيّة والفكريّة البارزة على المشاركة في المعرض.

• مزيد تطوير الأنشطة الموازية التّي تُقام على هامش المعرض وإحكام هيكلتها من ذلك تنظيم ندوة دوليّة كبرى أو جامعة مفتوحة تُلقى فيها محاضرات قيّمة على امتداد أيّام المعرض.

• تطوير مسابقات المعرض والتّرفيع في قيمة جوائزها. وعلى هذا النّحو يمكن أن تصبح التّظاهرة منتوجا ثقافيّا وسياحيّا من الطّراز الأوّل.

وقد يكون من المناسب إقرار يوم وطنيّ للكتاب من أجل أن تُصبح القراءة سلُوكا يوميّا وعادة من العادات الرّاسخة في مجتمعنا وحتّى يصير الكتاب عندنا «خير جليس في الأنام» قولا وفعلا.

ح.د.

QNB

QNB Fidelity,

Un compte de placement ouvert avec un taux de rémunération évolutif sur une période de 5 ans pouvant atteindre 8% du placement initial.
Pour plus d'informations, contactez l'une de nos agences la plus proche de vous.

Appelez le 36 00 40 00 ou visitez qnb.com.tn

أحمد بن صالح، رجُل الحيوية والعزم

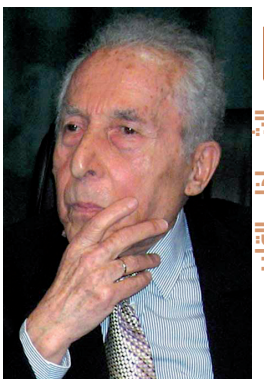

الشاذلي القليبي

هو أحد رجالات تونس الأفذاذ؛ أقام الدليل، طيلة حياته العاملة، على إخلاصه للوطن، وعلى صدق اعتزازه بالانتماء إلى الحضارة العربيّة الاسلاميّة، وعلى دائم كفاحه من أجل قضايا البلاد العربيّة، مغربا ومشرقا. هذا الرجل – الأستاذ أحمد بن صالح – لقد كان دوما مثل الضياء لِمن حوله؛ بذل من جُهده، في سبيل عزّة الوطن ومصالحه العُليا، ما لم يبذله الكثيرون من الاوائل، من حوله. هذا الرجل، ذو القلب الكبير السخيّ، حُرمت تونس – في أوجه عطائه – من مواهبه العالية، ومن خدماته المخلصة؛ وحُرم أهله من حضوره ورعايته، مدّة طويلة، دون أمل ولا بصيص من الرجاء. هذا الرجل، ذو الفكر الثاقب، والاحساس المرهف، حُرم الادب، أيضا، من مواصلة إطلالاته الشعريّة، على غرار ما أسماه بـ«ديوان الفصوص»، كَتَبَه في عنفوان شبابه، ولم ينشره. هذا الرجل الذي آلت به الايّام إلى سنّ لا ترحم، كان له من القوّة، في مقتبل العمر، ما جعله يُواكب عصره باقتدار، في أعلى تطلعاته من الادب، والفكر والفنّ. شابا، كانت له سطوة في المنتديات، وانتساب إلى أسرة مجلة المباحث، التي لا يُنسى ألقَها؛ وراودته أحلام بوحدة شعوب المغرب العربي الكبير، فرَمَزَ إليها بتأليف جمهرة من شباب المنطقة، أطلق

عليهم «إخوان الأطلس» – أرادهم «إخوان الصفاء». هذا الفتى التهمته مشاعر الغيرة على الوطن، واستبدّ به حبّ الاصلاح؛ فانهمـــك، بكلّ طاقاته، لا يأبه لِحاسد ولا لِحاقد. فحفّت به الظنون؛ وتآمرت به القاسية قلوبُهم؛ فإذا بآماله تُمنَى بالخيبة؛ فما استكان، ولا ضعُفت عزيمته. هذا الرجل العصامي، الذي بنى، بنفســه، كلّ ما أحرزه، في زمن العمل والتشييد، هذا الرجل الأبيّ، لم تأخذه في الحقّ لومة لائم، رغم تفنّن الحاقدين في تسليط التـُهم إليه. ولقد ربطتْ، بيننا، أيّام اليفْع والشباب، في المدرسة الصادقيّة، ثمّ في كلّية الصربون، بباريس؛ فأوثقت بيننا أواصر الودّ؛ ثمّ زادنا الالتحاق بالمسؤوليات الحكوميّة تقاربا. فلمّا أُثيرَت قضيّة التعاضد – دون حقّ ولا منطق عدل – كانت نكبة للاشخاص، ومضيعة للجهود، ومتلفة للمصالح. وما كتبتُ هذه الكلمات لِردّ الاعتبار – الذي في الحقيقة لم يفقده الاستاذ أحمد بن صالح، لدى العقلاء والنزهاء من أهل السياسة – وإنّما لِتأكيد أنّه دوما معتبر النابغة من رجالات تونس المخلصين. ومسيرته تدلّ على ذلك :

فلقد كان، منذ شبابه، من روّاد النضال الوطني، أسْوةً بوالده.

كما كان في طليعة الكفاح النقـابي، عند إقامته بمدينة سوسة، أستاذا – وزميله أحمـد نورالديـن؛ فكان كلٌّ منهما يُكنّ للآخر الودّ والتقدير.

ثمّ عيّنه فرحات حشاد نائبا عن الاتّحاد، لدى المنظّمة العالميّة للنقابات الحرّة؛ فحظي في بركسل بعالي الاحترام من القادة ومن الزملاء. وبعد استشهاد فرحات، آلت إليه خلافته؛ فرفع مشعل المنظّمة الشغّيلة، عاليا، داخل البلاد التونسيّة، وخارجها. وكثيرون يعتبرون أنّه كان خير خلف لِخير سلف. وكأنّي بالإخوان، اليوم، في الاتّحاد، نسُوا أنّ أحمد بن صالح كان تحمّل المسؤوليات الاولى، في قيادة المنظمة، وفي ظروف حرجة، استطاع فيها أن يخدم قضايا الشغّالين بحماس وإخلاص، وأن يغلّب مصلحة البلاد على مصالح فئويّة، أو انتماءات خارجيّة. فأثبت أنّ حشّاد كان مدرسة النضال الاجتماعي والكفاح الوطني.

هذا الرجـــل تولّى، تحـــت قيادة المجا هد الاكبر، أمانة الحزب، ووزارة الصحّة؛ ثمّ أسنِدَت إليه وزارة التخطيط التي حرص أن يُطلق عليها – في بداية تكوينها – «وزارة التصميم»، إشارة إلى ما يستلزم التخطيط، في نظره، من عزيمة وثبات؛ وكانت من أصعب وزارات الحكومة، قام بأعبائها بفحولة نادرة. وقد كان المجاهد الاكبر يقدّر فيه اتّقاد الفكر، وقوّة الحزم، وحسن الاجتهاد في معالجة المشاكل العويصة.

أمّا إخواننا، في بلاد المغرب وبلاد المشرق، فلم ينسَوْا أنّ الاستاذ أحمد بن صالح كان من المتحمّسين للمشروع المغاربي، حُلم الاجيال؛ وكان مُهتمّا بالمصير العربي، مُدافعا، دوما، وحيثما كان موقع مسؤوليّاته، عن قضايا الأمّة العربيّة، وفي مقدّمتها جهاد الشعب الفلسطيني، ضحيّة المظالم الدُوليّة – مرحلةً بعد مرحلة. وممّا ينبغي أن يذكر أيضا، من ماضي أحمد بن صالح، أنّه، أثناء حياة الطلب، بباريس، كـُلـّف بربط الصلة بين إدارة الحزب وبين الملك

القدوة المنصف باي، في منفاه بجنوب فرنسا. فقام بالمهمّة أحسن قِيام، وحظي بثقة العاهل الوطني، في كلّ ما كان له معه من لقاءات – التقى فيها برجالات كِبار من السياسيّين التونسيّين، فعرفوا فيه الرأي اللامع والعزم الثابت. كما ينبغي أن لا ينسى أهل الثقافة والادب أنّ الاستاذ أحمد بن صالح، رغم شواغله الحكوميّة، لم يتخلّ عن كلفه القديم بالادب وشؤون الفكر – التي كانت جمعت بيننا، وبين أستاذنا محمود المسعدي، منذ شبابنا.

فقد رسّخت، في أذهاننا، أيّام الطلب، ما انتشر إذاك من نظريات فلسفيّة تدعو إلى «الالتزام»؛ ثمّ إنّ الدراسات التاريخيّة ألهمتنا الرغبة في إحياء حضارتنا العربيّة الإسلاميّة، التي تناستها الاجيال، وأصبحت مجتمعاتنا ترنو إلى الحضارة الحديثة، بغية الاقتباس منها – وربّما الهجرة إليها. وأثناء كلّ هذه المسيرة الثريّة – وكنتُ شاركتُ في بعض مراحلها – كان الرجل دوما على رباطة الجأش المعروفة عنه، متمسّكا بالتطلّع إلى الافضل، فيما يُصلح البلاد وينفع العباد: إلى أن لسعته الايّام، وتألّبت عليه المذاهب المضادّة، ممّا كلّفه أنواع العناء ومشاق الغربة؛ ولم يُتَح له، في قمّة عمره، أن ينعم بما كان المجاهد الأكبر يسمّيه «فرحة الحياة». لكن الرجل أخذ نفسَه بالصمود والصبر، ولم يُخلد إلى فورات الغضب والشتائم. فقد ثبت، وعمل بكدّ فكره، طيلة السنين التي قضاها خارج وطنه، بمساعدة من كان عرفهم في زمن العزّ، وعرفوا فيه الخصال التي تميّز بها.

ولمّا عاد إلى أرض الوطن، وجد الامور قد اختلفت. لكن كان له أن يعتزّ بأنّ مَن عرفهم بالودّ وَجَدهم ملتزمين بالوفاء؛ وأنّ مَن سِواهم، أغلبهم أصبحوا يكنّون له الاحترام – وكأنّهم مقرّون أنّ ما حصل في أيّام الشقاء لم يكن لا على صواب ولا على حقّ.

ولمّا قامت ثورة الكرامة والشباب، إذا أحمد بن صالح يشعر أنّه منهم وإليهم. ولكن أعراضا صحّية حَرَمته من الإسهام، كما كان يُريد، في

توضيح مقاصد العمل الثوري، وسُبُل تحقيق مآربه.

وخلاصة القول، في مناقب الاخ العزيز، أنّ له أن يعتزّ بأن كان، في مختلف محطّات حياته العاملة، اختار دومـا أن يجعل الأولويّة لِخدمـة الغـير :

فلمّا كان طالبا، في باريس، استجاب لِنداء الواجب العائلي، فعجّل بالرجوع إلى أرض الوطن، لِكفالة أسرته، بعد وفاة والده.

ولمّا كان على رأس المنظمة الشغيلة، أدرك أنّ اختلال العلاقة بين العملة والاعراف مأتاه اختلالات في النظام الاقتصادي، موروثة، في أغلبها، عن الوضع الاستعماري المرتكز، في الصميم، على أهداف استغلاليّة. فاجتهد لِوضع «برنامج اقتصادي»،

نوّهت به الآفاق؛ وحرّضت عليه خصوم الاتّحاد؛ ورأى فيه أصحاب النظر القصير خطرا على مصالح. ومنذ ذلك العهد، تعلّقت به ظنون، وتوجّهت إليه اتّهامات، لاحقته، طيلة مسيرته، لَحاق «التابعة» في كلّ خُطاه.

ثمّ لمّا تحمّل المسؤوليات الحكوميّة، أراد أن يُحوّل البـــلاد إلى جَنّةِ عَـــدل. فلقيَ في ذلك ما لقيَ من سوء الفهم، وسوء الظنّ. ولكنّه التزم الصبر، مُستمسكا بالعفو والصفـــح والتجـاوز – وهي من أعلى أركان الاخلاق السياسيّة –ومن أكثرها ندارة.

فتحيّة إلى أخي، وأقرب الاقربين إليّ، راجيا له دوام العافية في نصاعة العقل وحيويّة الضمير، وفسحة الرضى عمّا كـان من أداء الواجب، في شمـــوخ لا يضعف ولا يَنِي.

وقديما حفظنا، أيّام الصادقيّة، أشعارا كثيرة للمتنبّي، يحضرني منها : «على قدر أهل العزم تأتي العزائم».

أثنـاء ما كان يُسمّى «تجربة التعاضد»، كنتُ وأحمد بن صالح مع الرئيس، في سيّارته، قاصدين المنستير. وكان لهما حديث طويل عن مسائل تهمّ الاقتصاد. والذي أذكـره أنّ أحمد طلب رأي الرئيس في كيفية التعامل مع البساتين المحيطة بعدد كبير من المنازل، بصفاقس. وقال : هي بساتين خاصّة، وبها أشجار مثمرة ؛ وليست معدّة أساسا للفلاحة..

ش.ق.

عـزيزة عثمـانـــة (1606 - 1669)

المحسنـــة والمثقّفـــة

ما انفكّ اسمها يتردّد على ألسن العديد من التونسيين والتونسيات بما أنّه أطلق على أحد مستشفيات العاصمة، ولكنّ قلّة منهم تعرف تاريخ عزيزة عثمانة التي خصّها الأديب والسياسي والمؤرّخ المرحوم الصادق الزمرلي (1883-1885) بفصل من كتابه القيّم باللغة الفرنسيّة Figures tunisiennes. وقد وفّق الأستاذ المرحوم حمّادي الساحلي في نقله إلى العربية واختار له عنوان «أعلام تونسيون» لتتولّى نشره دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1985. ويتكوّن المؤلّف من أربعة أجزاء تضمّ ما سجّله صاحبه من تراجم لأبرز الرجال الذين سبقوه أو عاصروه كان نشرها على صفحات بعض الجرائد والمجلّات الناطقة بالفرنسيّة. وبيّن الأستاذ حمادي الساحلي في تقديم النشرة العربيّة للكتاب أنّه «رغم كثرة الكتّاب التونسيّين في باب التراجم والسِّيَر، فقد امتاز عنهم المرحوم الصادق الزمرلي بأسلوبه المتطوّر والمتلائم مع روح العصر. ذلك أنّ كتابة التراجم لم تكن عنده مجرّد سرد للمعلومات الجافّة والأخبار المنقولة في أغلب الأحيان عن الكتب والرواة، بل إنّه قد توخّى طريقة جديدة تنطلق أساسا من العناية بالعَلَم المترجم له وتحليل شخصيّته ودراسة عصره بجميع ظروفه وملابساته، كلّ ذلك في أسلوب فنّي وأدبي رفيع».

ولإلقاء

الضـــوء على شخصـيّة عـزيزة عثمانة، تلك المرأة الجليلة التي حفلـت مسيرتها بأعمـال الخير والبــرّ، نورد في ما يلي ترجمة لحياتها بقلم المرحوم الصادق الزمرلي :

«في هذا العالم الذي يشهد تطوّرا متزايدا وتسابقا مذهلا نحو المصير المجهول، يدفع بأشدّ الناس تبصّرا إلى الاستغراق في حيرة مقلقة، مَن من الشباب المنساقين إلى أهواء أخرى والمنشغلين البال بهموم مختلفة، يتذكر الأميرة العظيمة التي كانت مثالا للفضيلة والعفّة ورهافـة الحسّ؟ من منهـــم – إلاّ ما قلّ وندر- تساءل عن المكانـــة المرموقة التي احتلتها تلك المرأة، في فترة حاسمة مـــن تـــاريخ وطنـــنا، وقد خرج منذ أمد قصير من الانتفاضـــات المفجعـــة التي حكمت بها عليه السياســة الخـرقاء والأثيمة المتبعة من قبل الأمراء الحفصيّين الأخيرين وما نتج عن الاحتلال الإسباني من عواقب ؟.

فكم عانى السكان العزّل والمسلمون، في العاصمة وغيرها من المدن الساحليّة، التي يعسكر بها الجنود الأجانب، من أعمالهم العدوانية، وقد كانت أبسط التّعلاّت كافية لإثارتها!

ذلك أنّ سلوك أولئك المتوحّشين قد تميّز بأعمال النهب المختلفة الأشكال وأعمال العنف المسلّطة على الأشخاص وانتهاك الحرمات وتدنيس أماكن العبادة وتدمير المكتبات الخاصّة والعامّة أو تشتيتها، وقد كانوا يتجاوزون ما تصدر إليهم من تعليمات متّسمة بالنفاق من رؤسائهم، فينتشرون في الأحياء الإسلامية، مجدّدين - ولو على نطاق ضيّق - الأعمال التي أدخلت في القديم الحزن والأسى على المدن العربية الكبرى بإسبانيا في عهد الملكة الكاثوليكية إيزابيل ورئيس الأساقفة كسيمينيس، المندفع والسريع الغضب.

ولكن بفضل تدخل القائد التركي سنان باشا المظفّر في سنة 1573، تمّ طرد الإسبانيين من تونس. إلاّ أنهم تركوا آثارا عميقة لاحتلالهم المهين. فأصبح من اللاّزم العمل على محوها في أسرع وقت ممكن، مهما كان الثمن، مع الحرص على تمكين الدولة الجديدة من جهاز إداري عتيد خشية الاستغراق في الارتباك والفوضى. ولقد تفرّغ عثمان داي (1) في الحال للاضطلاع بهذه المهمة الأكيـدة، فاستغـلّ ما كان يتمتّع به من نفوذ لدى الديوان وكبار الموظفين الأتراك الذين تركهم محرّر البلاد، مكرّسا جهوده لتضميد ما أصيبت به إفريقية من جوارح، سواء من قبل الاحتلال الأجنبي أو من أثر الاضطرابات التي أثارها الأعراب المستعدّون دوما وأبدا لاستغلال أدنى ضعف من جانب السلطة.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ المهاجرين المسلمين القادمين آنذاك من الأندلس، فارّين من محكمة التفتيش وما سلّطته عليهم من إهانات لا تحتمل، قد توجّهوا أولا إلى المغرب الأقصى ثم إلى الجزائر وتونس، وقد أثار قدومهم مشكلا دقيقا في وجه الإدارة الجديدة التي حرصت على فضّه بسرعة وعلى أحسن وجه ممكن.

ولقد كرّس عثمان داي جهوده للقيام بتلك المهمة بمساعدة بعض الضبّاط البارزين التابعين لحاشيته وبإعانة ابنه أبي العباس أحمد المشارك له في إدارة الإيالة. فتوفّق بعد جهد جهيد إلى إقرار القادمين الجدد في المدن الواقعة في شمال البلاد وشرقها، حيث لم يلبثوا أن شيّدوا المداشر والقرى، ومنحوا من جديد لتلك المناطق المهجورة الحياة والازدهار، وذلك بفضل ما كانوا يتمتعون به من خبرة ومواهب جرّبت فصحّت، وما كانوا يمتازون به من روح مبادرة وإنجاز. وفي خضمّ ذلك النشاط الخصب والمنظّم ولدت الأميرة عزيزة في بيت أبي العباسي أحمد. فنشأت نشأة مطابقة لتعاليم الشريعة الإسلامية المدقّقة، تحيطها رعاية أبيها الذي كان

يعتبرها درّة بيته، وذلك لما كانت تتمتّع به من جمال فتّان ومواهب سابقة لأوانها، إذ أنها أظهرت منذ حداثة عهدها استعدادات نادرة، سواء لدراسة الأدب أو لتلقّي العلوم الدينية التي سهرت على تلقينها إياها نخبة من الأساتذة المشهورين.

أضف إلى ذلك، أنه بالرغم ممّا كان يحيط بها من يسر وترف وما كان يتخلّل حياة الطبقة الرفيعة التي تنتمي إليها من حفلات متعدّدة ومتنوّعة، فإن الأميرة الشابة وربّة البيت الكاملة والمتدرّبة على أساليب الحياة العائلية، قد أظهرت منذ سنّ المراهقة ميلا واضحا للتأمّل والعبادة، الأمر الذي أبعدها عن تلك السفاسف وحرّضها على إشباع نوع آخر من الرغائب أعني البرّ والإحسان.

ولقد تزوجت في سنّ مبكّرة ضابطا لامعا، من الضباط التابعين لحاشية والدها يقال إنه مراد باي. فعاشت إلى جانبه عيشة مثاليّة وكرّست كلّ حياتها تقريبا للعبادة وأعمال البرّ.

وبقدر ما كانت مولعة بالعبادة، كانت ربّة بيت حريصة أوّلا وقبل كل شيء على تدبير شؤون قصرها الذي كان يعجّ بالخدم من جميع الأصناف. فلم تنبهر في أي وقت من الأوقات ببذخ وترف الطبقة التي كانت تحيط بها عهدئذ، ولا انساقت للإغراءات الاجتماعية التي كانت تستسلم لها السيدات المنتميات إلى نفس مرتبتها. بل بالعكس من ذلك، فقد كانت مخلصة للتعاليم الإسلامية الصارمة، حريصة كلّ الحرص على الامتثال إليها بكل دقّة مهما كان الثمن. ولم تعبأ بمخاطر السفر إلى البقاع المقدّسة وأتعابه التي لا مفرّ منها مهما كانت منزلة المسافر. فقرّرت أداء مناسك الحجّ رفقة عدد كبير من الخدم الذكور والإناث، أعتقتهم جميعا حالما انتهت من أداء فريضتها.

وسوف لا نفيض القول حول أطوار تلك الرحلة الطويلة التي قامت بها، سواء عن طريق البحر أو عن طريق البرّ، عبر فيافي الحجاز القاحلة. ولا نطيل الحديث عمّا تخلّل تلك الرحلة من أحداث محزنة وعجيبة. ولكلٍّ لا يمكن أن نغفل عن ذكر الهبات التي وزّعتها من حولها سواء لإغاثة الفقراء والمساكين في تلك الربوع أو لمساعدة الجائعين المحيطين بالحرمين الشريفين والذين كان عددهم لا يحصى آنذاك.

ومنذ رجوعها إلى تونس كرّست كلّ جهودها لأعمال الخير والبرّ وتجرّدت بمحض إرادتها وبمقتضى وصيّة مكتوبة، من جميع ما كانت تكسبه من أملاك هامّة بالنسبة إلى ذلك العصر، وذلك في سبيل المشاريع الخيرية المخصّصة لفائدة المستضعفين والمحرومين مدى الأحقاب.

ولقد أبت ابنتها فاطمة المضاهية لها في السخاء والسائرة على منوالها، إلاّ أن تواصل عمل أمّها وتزيده اتساعا. ولم يرتح لها بال حتى أوقفت - بمقتضى رسم محرّر أمام العدول، مازال نصّه الأصلي موجودا بمحفوظات جمعية الأوقاف سابقا - قلت لم يرتح لها بال حتى أوقفت جملة من العقارات والأراضي والأملاك المختلفة على المؤسسات الخيرية التي تنسب إلى حدّ الآن إلى الأميرة عزيزة عثمانة

دون سواها، خلافا لما يقتضيه العدل والإنصاف. وقد تمثّلت أعمالها بالخصوص في تجهيز الأبكار الفقيرات عند زواجهن وختن الأطفال للفقراء أو المتشرّدين مجانا وافتداء المسلمين المختطفين من طرف القراصنة وتوزيع الأموال والحلويات على الأطفال بمناسبة بعض الأعياد وتأسيس مستشفى أقيم في أوّل الأمر بنهج العزافين بتونس ثم حوّل فيما بعد إلى القصبة. تلك هي باختصار أهمّ إنجازات تلك السيدة العظيمة التي يحقّ لتونس أن تفتخر بها، باعتبارها إحدى بناتها، وذلك على قدم المساواة مع والدتها الفاضلة.

ولقد لبّت عزيزة عثمانة داعي ربها سنة 1080هـ (1669م)، فحزن على وفاتها شعب بأسره، شعر شعورا مبهما بأنه قد فقد يوم وفاتها امرأة محسنة نادرة المثال، ستبقى صورتها الجميلة والمشرقة إلى أبد الدهر في أذهان الأجيال المعترفة بالجميل. هذا ورغم إعجابها الشديد بالولي الصالح سيدي أحمد بن عروس، فإنه لم يسمح، لأسباب غامضة، بدفنها في زاويته بعد وفاتها.وقد أسفت لذلك، ولكنها لم تفقد ثباتها. فتمكنت من تذليل تلك العقبة وحولت بيتا من البيوت الكائنة بزنقة الشماعية إلى تربة محاذية لضريح الوليّ.

ودفنت بتلك التربة مع عدد من ذويها في غرفتين تعلو كل غرفة منها قبّة تعتمد على أعمدة رقيقة ورشيقة من الرخام وتنيرها مجموعة من النوافذ المخرّمة والمرصّعة بالزجاج الملوّن، تشعّ منها على القبور المكسوّة بالزخارف البارزة، أنوار مشعشعة متعدّدة الألوان، تضفي عليها من البهجة ما يضاهي روعة ضريح السّعديّين بمراكش...

ومن الغريب أن لم يشر أي مؤرخ من مؤرّخينا إلى هذه المرأة الفذّة، ماعدا ابن أبي دينار وأحمد بن أبي الضياف، فقد خصّص لها كلّ منهما في كتابه (2) بعض الأسطر الفاقدة لأية حرارة والتي لا تعكس أبدا ما قامت به من دور اجتماعي وثقافي بالغ الأهمية. فكيف يمكن تفسير ذلك الموقف، بالنظر إلى شخصية عزيزة عثمانة المنقطعة النظير وأهمية العمل المرتبط باسمها؟ والحال أن تونس لم تكن تفتقر آنذاك إلى العلماء والباحثين المتعوّدين على تسجيل أي حدث أو أي عمل يكتسي أهمية سياسية أو اجتماعية، أمثال آل بيرم وآل بلخوجة وغيرهم من العلماء الذين قدموا إلى تونس مع سنان باشا أو بعد تدخّله المظفّر. كما أنه لا سبيل إلى التنقيص من قيمة المشاريع الخيرية التي أنجزتها تلك الأميرة، سواء لإغاثة المحرومين أو لبثّ العلم في صدور أبناء الطبقات المتواضعة من الشعب. وتبعا لذلك لا يمكن التماس العذر لسكوت أولئك العلماء، اللهمّ إلاّ إذا اعتبرناه موقفا طبيعيا لبعض العلماء، الذين بلغوا سنّ النضج، ولم يكونوا ميّالين كثيرا إلى تمجيد أعمال معاصريهم. فلعلّهم اعتبروا أعمال عزيزة عثمانة من الأمور الطبيعية والعادية التي لا تستحقّ أيّ ثناء وتنويه.

فلا غرابة حينئذ إذا ما وجب علينا انتظار العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب، ليرسم لنا صورة تلك الأميرة، بفضل ما قام به من أبحاث طويلة النفس ومضنية، وذلك بأسلوب بديع وبعبارات مؤثّرة تشرّف ما امتاز به ذلك الأديب المبدع والملهم من موهبة.

ذلك أن ما خصّصه لها في كتابه « شهيرات تونسيات»(3) من صفحات تطفح بالإعجاب والتقدير يجعل ذلك الكتاب في عداد المصنّفات الأدبية الجديرة باحتلال مكانتها المرموقة في مكتبة كلّ رجل ثقافة. هذا وإنّ كاتب هذه الأسطر ليضمّ صوته بكلّ صدق إلى صوت ذلك المؤلّف، للتعبير عن تقديره المؤثر لتلك المرأة التونسية العظيمة، وهو لا يرى ما يمكن أن يقوله في شأنها أحسن من هذا البيت الشهير لأبي الطيب المتنبّي:

ولـو كان النساء كمـا فقدنـا * لفضّلت النسـاء على الرجال

فليبارك الله هذه الأرض الطيبة التي ضمّت رفات الأميرتين الجليلتين، وقد كانت كل واحدة منهما مثالا حيّا لأسمى الفضائل الإسلامية ألا وهي التقوى والإيثار والانقياد عن طواعية والحلم الذي لا ينضب له معين».

ع.ل

---

1 - مدّة عثمان داي : 1598-1610

2 - ابن أبي دينار : «المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس «- أحمد بن أبي الضياف : «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان».

3 - حسن حسني عبد الوهاب : «شهيرات التونسيّات». الطبعة الأولى -1934 الطبعة الثانية 1966.

تحيّة إلى روح محمّد المغربي

غيّب الموت يوم 17 ديسمبر الماضي محمّد المغربي إثر مرض عضال وبرحيله فقد قطاع الإعلام والاتصال وجها بارزا من وجوهه، يُشهد له بالكفاءة العالية والتجربة المهنيّة الثريّة.

جمعتني بالفقيد علاقات مـــودّة عزّزتها صداقـات مشتركـــة، مـنـــذ أن اضطلعـــت في تسعينات القرن الماضي بمهامّ المدير العام لمؤسسة الإذاعة والتلفزة التونسية، وهي المؤسّسة التي كان فيها للمرحوم محمّد المغربي حضور لافت ودور مهمّ حينما أشرف على إدارة البرمجة فيها في فترة السبعينات، فكان راعيا ومؤطّرا لطاقات شابّة متعلّمة أخذت عنه قواعد العمل التلفزي.

عضوا بالمجلس الأعلى للاتصال بصفتي تلك، اكتشفت لدى الرجل، بعد تعيينه كاتبا عاما لهذه الهيئة الاستشارية، صرامة أسلوبه في إعداد الوثائق وترتيب الجلسات، فضلا عن اتساع خبرته ومتانة ثقافته وحسن تعامله مع الناس. وتلك خصال أهّلته ليكون مديرا للإعلام بجامعة الدول العربية عند استقرارها بتونس من سنة 1979 إلى سنة 1990 وأحد الأعضاء المقربيّن لأمينها العام الأستاذ الشاذلي القليبي.

وقد نهض الراحل بتلك المهمّة باقتدار، فاستطاع من خلال شبكة واسعة من العلاقات في المجال الإعلامي على الصعيدين العربي والدولي أن ينشر آنذاك رسائل الجامعة ومواقفها إزاء قضايا حارقة كالقضية الفلسطينية والحرب العراقية الإيرانية والحرب الأهلية اللبنانية ومسائل جوهريّة أخرى كالحوار العربي الأوروبي وعلاقات العالم العربي بالغرب.

وتسنّى لي أن أعرف محمّد المغربي عن قرب عندما ترأّست من جوان 1979 إلى موفّى 1998 المجلس الأعلى للاتصال فكانت لنا جلسات يوميّة وقفت خلالها على كبير درايته بالشأن الاتصالي وعمق ثقافته التي ارتوت من عيون الأدب الفرنسي والعلوم الإنسانية وكذلك على تمكّنه من لغة موليار. وكم كنت استلذّ في لقاءاتنا تلك ما كان يصوغه من جمل رشيقة بلغة فرنسية راقية، تعبيرا عن موقف أو عن رأي.

وتجدّد لقاؤنا في رحاب اتحاد إذاعات الدول العربية لمّا توليت إدارته العامة من سنة 1999 إلى سنة 2006، وكان مستشارا لدى رئيس مؤسّسة

الإذاعة والتلفزة التونسية، وكذلك في إطار المؤتمر الدائم للوسائل السمعية البصرية في حوض البحر الأبيض المتوسط الذي استعان بخبرته لإعداد مشروع قناة تلفزية أورومتوسطيّة متعدّدة اللغات. وقد تحمّس المرحوم كثيرا لإنشاء هذه القناة التي كان يرى فيها أداة لدعم أسس الحوار بين الثقافات وإشاعة قيم الانفتاح والتسامح وقبول الآخر، مثلما سعى جاهدا من قبل من أجل مساهمة القنوات العمومية العربية في رأس مال الشبكة الإخبارية الأوروبية «أرونيوز» لحملها على اعتماد العربية في نشراتها إلى جانب لغات أخرى.

بعد إحالته على التقاعد ظلّ المرحوم محمّد المغربي- إلى أن أقعده المرض العضال- متابعا يقظا لما ينشر ويبثّ في وسائل الإعلام في الداخل والخارج، وثيق الصلة بأصدقائه، حريصا على تقديم النصح والمشورة لزملائه، فقبِل الانضمام إلى هيئة تحرير مجلّة ليدرز العربيّة عند تأسيسها.

كانت وصيّته أن يُدفن في مقبرة منّوبة، إلى جانب رفيقة دربه نزيهة الزيدي المغربي، المرأة التي أحبّها بكلّ جوارحه منذ أن عرفها مذيعة تلفزية، مثقّفة، مرهفة الحسّ والتي بادلته نفس المشاعر الجيّاشة فانعقدت بينهما عشرة ملؤها الصفاء والمودّة والرحمة، عشرة لم تنفصم حتّى بعد رحيل نزيهة التي ظلّ طيفها متعلّقا به، ساكنا فيه، يرفرف

فوق بيت حرص على ألّا يغيّر في ترتيبه شيئا وفاءً لذكراها إلى أن تأخذه يد المنون إلى جوارها في عالم الخلد.

غادرَنا محمّد المغربي بهدوء، تاركا لدى أهله وخلّانه وزملائه جميل الذكرى وجليل الأثر. تغمّده الله بواسع رحمته وغفرانه وأسكنه فراديس جنانه. «يَا أَيَّتُهَا النَفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي». صدق الله العظيم.

عبد الحفيظ الهرقام

قلم المعزّ لدين اللّه الفاطمي

الأقلام أداة يوميّة لكلّ النّاس يصنع منها سنويّا مئات الملايين من أصناف وأحجام وخصائص متعدّدة : أقلام حبر، أقلام حبر جافّ، أو نصف جافّ، أقلام مستدامة وأخرى تُطرح بعد استنفاذ مادّتها الحبريّة والتطوّر مستمرّ ...بدأ الإنسان رحلته مع القلم منذ أن وضع الحروف وركّبها، تعلّم بها ما لم يكن يعلم، رافقه القلم في فكره وأحاسيسه وبالقلم شهد الإنسان على مكانته وإسهامه في الحضارة، عقل يفكّر ويد تمسك وقلم يُسطّر ويُسجّل.

صنع القلم في البداية ممّا تنتجه الطبيعة : قصب وريش أوز ثمّ استعمل الإنسان المعدن إلى أن وصل إلى القلم الخازن للحبر والقلم ذي الحبر الجافّ. ولكن القلم الخازن للحبر من وضعه لأوّل مرّة وأين؟

من أوروبّا إلى العالم الجديد

تقول المصادر إنّ أوّل قلم خازن للحبر أو القلم الخزّان ظهر بصورة عمليّة خلال القرن التاسع عشر وذُكرت عدّة أسماء كفاولش (1809) وشيفر (1819) إلاّ أنّ من طوّر صورة جديّة للقلم الخازن هو لويس واترمان بالولايات المتحدة الأمريكية وسجّل براءة الاختراع باسمه سنة 1884 ومنها انطلقت صناعة ذلك الصّنف من الأقلام بصورة صناعيّة على نطاق واسع. ولكن تونس في الواقع هي من شهدت وضع أوّل قلم خازن للحبر تسع قرون قبل ذلك وعلى يد المعزّ لدين الله الفاطمي الخليفة الرّابع للدّولة الفاطميّة.

تونس أمّ الأقلام

وقد يكون ذلك الاختراع تمّ بالقيروان أو المهديّة وهما المدينتان اللتان أقام بهما المعزّ وأدار منهما شؤون دولته. وقد ورد خبر ذلك القلم ضمن المؤلّف الجامع «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان بن محمّد وقد تمّ إصدار هذا المؤلّف وتحقيقه من قبل الأساتذة الأجلاّء الحبيب الفقي وإبراهيم شبّوح - حفظهما اللّه - ومحمد اليعلاوي - رحمه الله -. ويضمّ الكتاب ما يزيد عن 500 صفحة لنقرأ الخبر ثمّ نستقرئه. ورد في «المجالس والمسايرات» ما يلي :

«قال المعزّ لدين الله : نريد أن نعمل قلما يُكتب به بلا استمداد من دواة يكون مداده من داخله، فمتى شاء الإنسان كتب به فأمدّه وكتب بذلك ما شاء ومتى شاء تركه فارتفع المداد وكان القلم ناشفا منه. يجعله الكاتب في كمّه أو حيث شاء فلا يؤثّر ولا يرشح شيء من المداد عنه ولا يكون ذلك إلا عند ما يبتغي منه ويُراد الكتابة به فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنّا سُبقنا إليها ودليلا على حكمة بالغة لمن تأمّلها وعرف وجه المعنى فيها...» ويُضيف النّعمان : «قلت ويكون هذا يا مولانا، قال يكون إن شاء الله».

ثم يقول: « فما مرّ بعد ذلك إلاّ أيام قلائل حتى جاء الصّانع الذي وصف له المعزّ الصّنعة به، معمولا من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب وزاد شيئا من المداد على قدر الحاجة، فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به فإذا هو قلم يُقلّب في اليد ويميل إلى كلّ ناحية فلا يبدو شيء من المداد فإذا أخذه الكاتب وكتب، كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به، ثمّ إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد». والنصّ واضح جليّ، فالمعزّ لدين الله هو أوّل واضع

لقلم الحبر الخازن ووصفه عبارة عن مثال هندسي صناعي وأوكل إلى صائغي عمله والذي استعمل معدن الذّهب لخصائصه التطويعيّة لكل الأشكال. وبذلك صنع النموذج فكان من الذّهب الخالص ومرّ بطور التجربة والتعديل فإذا هو مكتمل يحقّق هدف المعزّ من تصوّره وهو الكتابة بلا استمداد والحفظ دون ضرر. ولا شكّ أنّ الهدف الأوّل كان مقصد المعزّ فقد كان شغوفا بالحكم والمعرفة وقد وصفه المقريزي في تاريخه بأنّه عالم جليل ومفتون بعلم الكواكب والنجوم.

ومن خلال سيرته أثناء فترة حكمه لبلاد المغرب الإسلامي من المحيط إلى حدود مصرنعلم أنّه كان شديد الحرص على تتبّع ما يُؤلّف ويُنشر في عالمه القريب والبعيد ويأمر بنسخ ما يُؤلّف بالعربيّة وبترجمة ما يُؤلّف باللغات الأخرى للاطّلاع على هذه الكتب وحفظها في مكتبته تماما كما يفعل الأمريكيون اليوم حيث تتولّى مكتبة الكنغرس اقتناء كلّ ما ينشر بالعالم للاطّلاع. ويذكر القاضي النعمان الذي شغل عدّة وظائف سامية في عهد الدولة الفاطميّة وبالخصوص خطّة أمين مكتبة القصر، وهذا ما يدلّ على الأهميّة التي تولى للعالم والتي واصل تقاليدها المعزّ وزاد عليها إذ قال عنه «ما رأى ولا سمع بأعلم من المعز بكلّ فنّ يأخذ فيه من جميع ما يتصرّف النّاس». ولا شكّ أنّ المعز كان يبتغي السّرعة في التأليف والنسخ والترجمة إيمانا منه بأهميّة المعلومات وتأثيرها خاصّة وأنّه حكم مجالا كبيرا. كما كان له أسطول بحري هامّ مكّنه من بسط نفوذه على جزر الحوض الغربي وخاصّة صقليّة وكريت. كما كان يواجه دولا كبرى كالإمبراطوريّة البيزنطيّة والدولة الأمويّة بالأندلس والدولة العباسيّة بالمشرق. بقي أن نُعرّف بالمعز لدين الله الفاطمي من جهة والقاضي النعمان من جهة ثانية.

المعزّ لدين الله الفاطمي

هو أبو تميم معزّ بن منصور ولد بالمهدية حوالي سنة 920م وتُوفّي بالقاهرة سنة 932م، وتولّى الخلافة وهو ابن العشرين. أمتدّ ملكه سنة 972 إلى مصر والشام ودُعي له بالحرمين الشّريفين وانتقل إلى القاهرة التي بناها قائد جنده جوهر الصقلّي. والثّابت أنّ شخصيّة المعزّ بقيت مغمورة في بلده الأصلي ولا يُعرف عنها سوى القليل ولربّما كانت الدّواعي المذهبيّة التي لا تزال آثارها إلى اليوم سببا لذلك.

القاضي النعمان

أمّا القاضي النعمان فهو النعمان بن محمد بن منصور التميمي، ولد بالقيروان حولي سنة 900 وتوفّي بالقاهرة سنة 974. وكان أبوه من دعاة الدولة التي أطاحت بالإمارة الأغلبيّة. شغل عدّة مناصب سامية إلى أن عُيّن قاضي القضاة وعرف المجد مع المعزّ لدين الله فهو بحقّ كما يقول المُحقّقون الأجلاّء «خادم الدعوة الإسماعيليّة ومؤرّخ أئمّتها». ترك الكثير من المؤلّفات أهمّها «المجالس والمسايرات» وقد ذكر فيه كل ما سمع المعزّ عن مذاكرة أو مجلس أو مقام أو مسايرة. وقد كان يُسجّل ما سمع إثر كل منها. وهذا اللّون من الكتابة لا يزال قائما إلى اليوم. ومن أشهر المؤلّفات من هذا الجنس كتاب «محاضر» (Verbatim) لجاك آتالي الذي كان مستشارا للرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتيران.

ويذكر المؤرّخون أنّ المعزّ لدين الله خرج من القيروان حاملا ذخائره وأمواله ومكتبته على نحو ما يزيد عن مائتي جمل قاصدا مصر التي عاش بها حوالي سنتين ونصف السنة. واستفادت مصر من التراث العلمي الذي حمله إليها المعزّ. ولا شكّ أنّه حمل معه أيضا قلمه الذهبي، لكن لا يبدو أنّ النموذج طوّر صناعة النّسخ والكتابة إذ عاد الناس إلى استعمال الأقلام البدائيّة وبقوا على ذلك، بينما ظهرت الطباعة وتطوّرت الأقلام في أوروبا والعالم الجديد حتى ظهور الكتابة الافتراضية في الوقت الحاضر. ومن الغريب أن الأقلام الخازنة للحبر أو المستعملة له بصدد الاتجاه نحو قلم الذهب للمعزّ لدين الله الفاطمي على غرار السّاعات الثمينة والمجوهرات ولربّما سيُصنع يوما ما قلم من الذهب الخالص كما فعل المعزّ.

أبو عطف

Leaders

POUR RECEVOIR DIRECTEMENT VOTRE MAGAZINE ET A PRIX REDUIT

ECONOMISEZ *plus*

Abonnement conjoint
55 DT
seulement/an

COUPON D'ABONNEMENT

Nombre d'abonnements ..... **x 55 DT** **Total** .....

Nom et prénom ou Raison sociale :.....

Adresse de livraison :.....

.....

Code postal

Contact

Je joins mon règlement par

- ☐ Chèque bancaire
- ☐ Virement

CBB : TN59 08 008 000671001274071

Date et signature

Ennour Building, Cité des Sciences, BP 200
1082 Tunis Mahrajène, Tunisia
Tel +216 71 232 111 / Fax : +216 71 750 333
www.leaders.com.tn

محمّد قلبي
«الحربوشة الأخيرة»

مفاجأة سارّة تلك التّي خصّ بها قسم الإعلام والاتصال والنشر بالاتحاد العام التونسي للشغل جمهور القرّاء بإصدار كتاب بعنوان «حربوشة محمّد قلبي»، فأعاد إلى الذاكرة الجماعية كتابات متنوّعة لهذا الصحفي اللامع والقلم الحرّ الذي جلب له الأنظار عندما نشر في جريدة «الشعب»، لسان حال الاتحاد على امتداد 17 أسبوعا، من 17 سبتمبر 1977 إلى 20 جانفي 1978، مقالات نقديّة بأسلوب ساخر مميّز في ركن سمّاه «حربوشة»، في فترة شهدت فيها العلاقة بين الحكومة والمنظّمة الشغيلة أزمة خطيرة أدّت إلى اندلاع أحداث 26 جانفي 1978 الأليمة.

جمع هذه الكتابات وأعدّها للنشر الصحفي محمّد العروسي بن صالح الذي عمل تباعا في «دار الصباح» وجريدة «الشعب» و«دار الأنوار» قبل أن يعود في جانفي 1993 إلى «الشعب» ليرأس تحريرها ويشرف على إدارتها إلى غاية ديسمبر 2011.

وعلاوة على «الحرابش»، يتضمّن الكتاب سلسلة من التحقيقات في مختلف الأغراض، نُشر أغلبها في جريدة «الشعب» سنة 1976 وألقى فيها المرحوم محمّد قلبي الضوء على الظروف المزرية والمهينة التي كان يعيشها العمّال والعاملات في قطاعات النسيج والملابس والأحذية.

وقد بذل محمّد العروسي بن صالح مجهودا لافتا في وضع هذه الكتابات في سياقها التاريخي لمساعدة القارئ على تمثّل الظرف السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كان سائدا زمن نشرها، وذلك من خلال البيانات والإضاءات التي وردت في «المدخل الإطاري» وفي الهوامش في أسفل الصفحات.

يعدّ هذا الكتاب بحقّ مرجعا من المراجع الأساسية في تاريخ الصحافة التونسية، ومنجزا توثيقيا مهمّا أراد من خلاله محمّد العروسي بن صالح إحياء ذكرى «علم من أعلام الصحافة التونسية» وإيفاءه بعضا من حقّه «وهو الذي كغيره من عشرات الصحافيين لم يلق أيّ حظّ ولم يسعف بتكريم»، في حين اعتبر الصحفي ناجي الزعيري أنّ «مثل هذا الكتاب لا يجب أن يظلّ حبيسا لرفوف المكتبات وغرف المنازل» بل مكانه الدرس في معاهد الصحافة والإعلام « عسى يتعلّم حَمَلة القلم الصحفي والمصدح والكاميرا والنّاقرون اليوم على أزرار الحاسوب أنّ الأوان آن لتتوقّف «الناعورة» عن الدوران حول محبرة جفّ حبرها من زمان «... وأنّ السمّ المدسوس في «الحرابش» هو الحبر الوحيد القادر على هتك كلّ الأقنعة».

من هذا الكتاب اخترنا نصّ «حربوشة» محمّد قلبي الأخيرة التي نُشرت يوم 20 جانفي 1978، أيّاما قليلة قبل «الخميس الأسود»:

مسرحية من ورق(1)

كانوا كلّما صعد صاعد من قومهم ليتناول الميكروفون2 يناولونه ورقة ويقولون له إقرأ. إقرأ باسم حزبك الذي خنق، خنق الإنسان بالورق فكان الرجل المخنوق يقرأ، يتهجأ، يتجشأ، يتلجّأ يترجأ إلى أن يصل إلى نهاية الورقة، فلمّا يصل إلى نهاية الورقة، يعود إلى مكانه في القاعة ليضمّ كفّه إلى المصفّقين على المنصة.

والمنصة هنا لغويا ونحويا هي اسم المكان من فعل نص، ينصّ، نصّا، أي أنها ذلك المكان الذي تكتب فيه النصوص المقروءة والمسموعة والمخطوبة والمتلفزة التي توزع في الاجتماعات الحزبية الرهيبة، الناطقة باسم الشعب بعد تبديل لقبه العائلي.

توالي الصاعدين إذن المنصة، ومعذرة شيخنا الفاضل سيبويه إن أزعج راحتك الأزلية هذا الفاعل المكسور، إنّما تأكّد أنهم هم الذين جرّوه، جرّوه إلى الاجتماع وجرّوه إلى المنصة وجرّوه إلى الميكروفون نحن دائما نسعى إلى رفعه، وهم الذين يجرّونه ويكسّرونه. صعدوا كما قلنا لتناول المكيروفون، إلى أن نهض واحد منهم ومرّ على المنصة حيث تناول نصه قبل أن يتناول الكلمة بعد عمر طويل إن شاء الله وبدأ يقرأ يقرأ. باسم حزبه الذي خنق.قرأ عن المناورين المندسين المتسربين الهدامين المخربين الفاسدين المفسدين المغرضين المتآمرين غير الفاعلين المجرورين ولا الضالين آمين، قرأ، وتهجأ، عكّز وتعثّر في قراءته إلى أن وصل إلى أخر كلمة في آخر سطر لآخر فقرة بالصفحة حيث قال معناه لذلك، لكل هذه الاعتبارات بالجملة والتفصيل، وانطلاقا من كل ما سبق، وحيث أننا نمثل جميع الفئات والطبقات، وبما أنّ الحزب وتحت ساقه الحكومة عفوا بل الحكومة وعلى رأسها الحزب يعملان دوما من أجل رفع الإنسان المفعول به رغم وصايا المرحوم سيبويه، وكسر الفاعل أو جرّه إلى الاجتماعات الشعبية حسب النحو والصرف الاشتراكي الدستوري، قلت انطلاقا من كل هذه المعطيات فإنه لم يبق لنا إلا أن نقول لكل هؤلاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ارتجت أرجاء القاعة بالتصفيق، وهرعت الكاميرا تصوّر الأيادي المرفوعة للجماهير المجرورة، ونصبت وطفقت تلتقط اللقطات الملقوطة لقطا إنّما سرعان ما خيّم السكون على الرفع والجرّ والنصب، ذلك أن صاحبنا يعني الرجل الميكروفون لم يقرا كل النص. حسب المسكين أنّ الكلمة انتهت عند ذلك

شمس FM

تونس الكبرى
101.7 FM

بنزرت
95.7 FM

قفصة
88.7 FM

صفاقس
96.2 FM

الوطن القبلي
106.5 FM

المنستير
90.6 FM

القيروان
107.0 FM

سوسة
93.7 FM

www.shemsfm.net

شمس FM، وين إنت، وين أحنا

الحد فسلّم على الجماعة وتأهّب لإعطاء الكلمة إلى رجل الصحافة والعودة إلى مكانه فصاح فيه واحد من أهل المنصة والكتاب العموميين للاجتماعات العمومية اقلب الصفحة يا غبيّ اقرأ بقية الكلمة فالكلام لم ينته وارتبك الرجل، ووجم الميكروفون فخشخش لتغطيـــة حشمته، وأغمضت الكاميرا عينيها التي تسمع ولا ترى لتحذف هذا المشهد الاعتراضي في الاجتماع التاريخي المشهود، وسحبت القاعة تصفيقها وتهليلها وأجلته إلى بعد حين ثم واصل القارئ قرايته.

حدث هذا أخي القارئ في بداية الأسبوع، وسأقول لك متى على وجه التدقيق. أمازالت تذكر ذلك الإعلان التلفزي الرهيب الذي أنبأنا هاك الليلة أنّ دار تلفزتنا الوطنية هيأت لنا نشرة إخبارية خاصة لايفائنا ببيان مصيري بالغ الأهمية. أمازلت تذكر؟ حسنا اعلم إذن أنّ ذلك البيان صدر عن المنصة، عن اجتماع اقرأ باسم حزبك الذي خنق عن اجتماع الرجل الميكروفون الذي لم يقلب الصفحة وتأكّد أنّ هذه الحادثة صمدي في صمدي، نسخة طبق الأصل، كأنك كنت حاضرا.

أما الآن فإنني أدعوك فقط لتنسج على منوال هذه المهزلة لتعرف بقية أطوار المسرحية الاجتماعية الشعبية الوطنية يكاد كل شيء في البلاد يصبح من ورق الدستور حبرا على ورق، والقوانين نسخ وتوريق ومسخ صارخ من حيث التنفيذ والتطبيق، التأييد المطلق إبراق وورق بلا بريق، والحريات والمبادئ السامية فقدت طعمها كالورق المعلوك، والانتخابات «تروكي» (3) كصك مزيف بلا رصيد لدى البنوك.

وأما البيانات المصيرية التاريخية الصادرة عن لجان التنسيق فهي مجرّد أدوار مكتوبة على ورق صادر من معامل الهتاف والتصفيق يكاد كل شيء في البلاد يؤول تدريجيا إلى ورق، لولا أنّ السياسة الجديدة ستغـير على ما يبدو والحمـد لله هذا المنهج وهذا الأفق فبتصلّبها وابتعادها عن اللين والمرونة يمكن القول بأن سياستنا كانت من ورق وأنها ستصبح الآن من كرذونة(4).

ع.هـ

1. نشرت يوم 20 جانفي 1978 وكانت آخر الحلقات إذ أعلن الإضراب العام فتخللته أحداث مؤلمة أسفرت عن عدد كبير من القتلى والجرحى والموقوفين. كما أعلنت حالة الطوارئ وفرض حظر التجول وأحيل المئات من النقابيين والعمال على المحاكم. بعد سجن وإبعاد القيادة المنتخبة، انتظم مؤتمر صوري يوم 25 فيفري 1978 تم خلاله تعيين قيادة موالية للسلطة فيما تمت محاكمة القيادة الشرعية في أكتوبر 1978 وصدرت في شأن أعضائها أحكام بالسجن تراوحت بين عشر سنوات وستة أشهر سجنا وأشغال شاقة. ولحق الإبعاد والترهيب أسرة جريدة الشعب فمنعت- ومن ضمنها محمد قلبي- من مباشرة عملها بل أن أغلب أعضائها رفضوا اختياريا العمل مع القيادة الموالية للسلطة.
2. المصدح.
3. تعريف حرفي للفظة *truquée*، أي مزيفة.
4. الكرذونة هي الورق المقوّى.

قفـــص المـدخّنيـــن

علي اللواتي

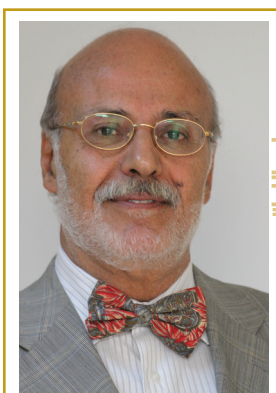

الساعة

العاشرة صباحا بمطار د ... يزدحم المكان بالمسافرين من كلّ الأجناس بينما أجلس ناظرا دون تركيز إلى شاشة فيديو إشهارية . سأقضي فترة ترانزيت بثلاث ساعات قبل المغادرة إلى بيروت .. كيف سأحتمل الانتظار مع حالة الهمود التي صرت إليها بعد عمل أيّام وليال ضمن لجان الأسواق البترولية ؟ بِي إعياء وصداع ولا رغبة لي في دخول السوق الحرة ومع ذلك لابدّ من تقديم هدايا لزوجتي الدكتورة وأطفالها عند العودة إلى البيت.

البادية خارج المطار تسبح في سراب جهنّمي رطب والدّاخل مكيّف وتجاري وتافه ...كيف كانت حياة بدو ما قبل البترول في الفيافي المحيطة ؟... ولكن أين البدو وأين خيامهم من هيكل الزجاج والخرسانة هذا، وليد الخيال المعماري المرتهن للمال ؟...

ممّا يرهقني أنّ الفراغ خلال السّاعات المقبلة سيضطرّني ــ لا محالة ــ إلى اجترار أحداث حياتي الباهتة في عالم البتروكيمياويات... سأنقم مثلما فعلت ألف مرّة على اختياري الأخرق مهنة مهندس في المهجر وكان الأفضل أن أبقى في قريتي وأمتهن صيد السّمك أو صنع سلال الجريد أو حبال القُنّب... سأجترّ خطأ زواجي من نهلة خرّيجة طبّ بنسلفانيا المفتونة بـ «الأميركن واي أوف لايف»...

طوّفت في أرجاء قاعات المطار جيئة وذهابا وصعودا ونزولا لأطرد السّأم محصيا الدّقائق على شاشات الوصول، ولكن الزّمن كان يمعن في التّمطّط إلى أن ألجأني التّعب أخيرا إلى مقعد. فتحت جريدة وجلت بناظري في العناوين :

«عجوز في الثانية والسبعين يتحدّى قمّة إيفريست».. «سمكة قرش تقتل طفلة في نيوزيلندا»..«الفراولة تنشّط الذاكرة وتؤخّر الشيخوخة»...أمّا هذه فكذبة لاشكّ ... أنا أُكْثِرُ من أكل الفراولة ومع ذلك أحسّ بأعراض شيخوخة زاحفة وأنا في الأربعين. تبّا للأخبار الزّائفة وتبّا للصّحافة التّافهة ! ألقيت بالجريدة جانبا وجلست قبالة منطقة المدخّنين وسط القاعة الكبيرة فهاجمتني رغبة في التّدخين ولكني تردّدت في الدخول إلى القفص الضّيق مع اولئك المنعزلين في جوّ خانق كجماعة سريّة.

المدخّنون يُحشرون في مناطق معزولة. لا حقّ لأحد أن يضرَ بأحد. لِيَكُنْ، ولكن التّبغ ليس أخطر من الصّحف التّافهة ... لماذا لا يُعزل الصّحافيون المفترون داخل أقفاص ويُضطرّون نكالا إلى قراءة ما يكتبون، بعضُهم لبعض حتّى التّسمّم مثلما يُضطرّ المدخّنون لتنفّس هواء قفصهم الموبوء ؟.. الرّغبة في التّدخين تدفعني نحو القفص. عليّ أن أستسلم للسّأم أو أقطعه، ولو للحظات، بسيجارة.

اندسستُ بينهم .كان الأمر مهينا شيئا ما. رجالٌ ونساء من جنسيّات مختلفة، يقفون حزمة متراصّة، يكادون يتلامسون بالأنوف ويتبادلون نظرات مُحرَجة ومتضامنة مثلما يفعل المتّهمون بممارسة مشبوهة. كلّ منهم ينغلق على نفسه مستسلما في الظّاهر إلى خَدَرِ سيجارته غير آبه لمن حوله، بيْدَ أنّ تيّار أخوّة غامضة يسري بينهم، وتجمعُهم أواصِر صامتة كالتي تنشأ بين الهامشيين والمنبوذين. العابرون من خارج الحاجز الزّجاجي يحاصروننا بنظرات فضولية مستغربة، مشفقة، ممتعضة. تذكّرت زوجتي عندما يتّخذ حرصها على صحّتي شكل نوبات هستيريّة لحملي على الإقلاع عن التّدخين. ازددت تعاطفا مع سجناء القفص. استسلمت إلى خواطر هاذية : التبغ يقتل، لا شكّ، ولكنّه موتٌ أرحم من الاحتضار اليومي وسط الروائح الكيمياوية في جنّة الدكتورة خرّيجة طبّ بنسلفانيا...

دخلتْ إلى القفص فتاة آسيويّة مليحة ترتدي تبّان «دجين» و«تي ــ شيرت». طافت بابتسامة لطيفة على الحضور فتجاوبت أساريرهم لها. اتّجهت نحوي فأوسعت لها قُبالتي. كادت تلاصقني .اكتشفت أولى مزايا الانحشار في موضع ضيّق مُشْبَعٍ بالدّخان عندما بادرتْ بإشعال سيجارتها من ولاّعتي فكافــأتني بـ «ثنك يو» مُنَغّمة .. غمرتني رائحة التبغ المعطّر بالنّعنع من فمها وبدا لي أنّها تتفرّس في ملامحي. ألقيت برأسي إلى الوراء ونفثت دخان سيجارتي إلى الأعلى لكي لا أضايقها فسرّها ذلك وفعلت مثلي وإذا نحن ننخرط في لعبة طفولية مؤرجِحَيْن رأسيْنَا من الأمام إلى الخلف ومن الخلف إلى الأمام. الابتسامةُ لاتغادر شفتيها ووجهُها يزداد إشراقا بين وجوه ذابلة تنطمس ملامحُها وسط الدّخان. لمحت خلفَها رجلا ملتحيا متعمّما يرتدي ثيابا أفغانية أو بلوشية ويهيمن بقامته الفارعة على الحاضرين. هام خاطري في سباسب آسية وصحاريها حيث أقوامٌ محاربةٌ تملأ الفضاء صُراخا ... أرى الرجل الملتحي في هيئة فارس يختطف الفتاة الآسيويّة ويُردِفُها على جواده ويمرق كالسّهم... سيكون منهما أطفالٌ سُمْرُ الوجوه بعيون صينية أو مغولية... تُسْلِمني الصّورة الملحميّةُ الجامحة إلى رؤى من طفولتي الوادعة بين قوارب الصّيادين .. أتذكّر ساعات الوقوف الطّويل أمام البحر منتظرا بقلب ساذج عودة أبي بالسمكة التي التقمت خاتم السلطان في خرافة جدّتي... انقشع ضباب الذّكرى وأعادني إلى القفص قربُ سيجارة الآسيوية من نهايتها.. ستخرج الفتاة وأعود إلى رتابة واقعي كخبير بترول وكان يسعدني أنّ أتحوّل ببارقة من عينيها السّاحرتين إلى خزّاف أو أو نسّاج أو صانع سلال. ازدريت وضعي كإنسان تائه يعبر مطارات السّأم مرّتين أو ثلاثا في الشّهر ليعود إلى اللّقاءات العائلية التي تحوّلها زوجتي إلى منابر للتّبشير بمجتمع المعلومات...

يجب أن أفعل شيئا ما وإلاّ ذهبت الآسيويّة وبطل السّحر! خاطبتها بالإنجليزية: «إسمي أحمد... تونسي ... أشتغل مهندسا» فاجأتني بلغة عربية :

• وأنا لودميللا، أدرس علم الآثار من سنغفورة . قلت دون تفكير وقد فاجأتني عذوبة لهجتها ذات اللّكنة الخفيفة :

• سنغفورة مدينة نظيفة...

• ربّما ولكنها تحوّلت إلى سوبرماركت كبير.. لا شغل للنّاس هناك سوى الأعمال والشوبينغ !

إذا كانت تزدري الشوبينغ فالأرجح أنّها تكره أيضا البيتروكيمياويّات! قلت لها : «أنت تجيدين العربية، كيف عرفت أنّني من النّاطقين بها ؟!» رشقت عينيها في عينيّ بعد أن أطفأت عقب سيجارتها في المنفضة وقالت: «عرفت ذلك بالفراسة!... درست اللّغة العربية في القاهرة وأعدّ الآن دكتوراه في علم الآثار ..أشاركُ أيضا في بعثة تنقيب عن مدينة قديمة في صحراء الجزيرة .. سوف أقضي إجازة قصيرة في سنغفورة ثمّ أعود إلى العمل بموقع أثري في «وبَار»..

إنّها تستفيض في الكلام حيث أقتضب .. الآن أعرف اسمها وبلادها ومراحل دراستها ومهنتها كعالمة آثار.. بديع ! .. إن أردتُ استمرارَ الحوار معها فعليّ أن أحدّثها بدوري عن دراستي وبعض التّفاصيل عن حياتي ولكنّي استحييت، فشتّان بين التّنقيب عن الآثار وبين التّنقيب عن البترول ! شتّان بين من ينفض الغبار عن معالم الحضارة الإنسانيّة وبين من يُساهم في الاتّجار بأحشاء الكوكب ويخنق الحياة بغازات الهيدروكربون ! باغتتني بسؤال : هل سمعت عن «وبار»؟.. شعرتُ بالخجل من جهلي لأنّ دراستي للعلوم أذهلتني عن كثير من المعارف النّافعة. لو كان لي حظٌ أوفر من معرفة التاريخ مما رسب في ذاكرتي من الجُذاذات المدرسيّة لتوسّعت في الحديث معها فيطول اللقاء، لكنت استدرجتُها إلى الغداء بأحد المطاعم ممدّدا حالةَ الانجذاب التي أعيشُها؛ لكنّني من جيل ضعيف التأهيل في الإنسانيات دفعته سياسات تربويّة خاطئة إلى إهمال الإنسانيّات والتّركيز على الموادّ العلميّة لا حبّا في العلم بل طمعا في أوضاع ماديّة مريحة... لعنتُ أمّ الهندسة البتروكيمياويّة!

«وَبَار»... «وَبَار»!.. إسم جميل!.. لعلّ فراسة الآسياويّة التي دلّتها على أصولي، قد أنبأتها أيضا، بأنّني إنسانٌ مهزوم خرّب البترول بيته .. أخشى أن تتسرّب إليّ الآن رائحتُه الكريهة فتفسد عطر النّعنع الذي تبثّه مع التّبغ أنفاس الفتاة ! أجبتُها متردّدا : «قرأت أشياء عن أقوام ثمود وعاد .. أمّا وبار.. الواقع أنّ

تخصّصي العلميّ حرمني من الالتفات إلى معارف كثيرة» و... أجابت بابتسامة متسامحة ضاعفت من شعوري بسخف ما برّرت به جهلي ثمّ أشعلتْ سيجارة أخرى ففعلت مثلها يغمرني ارتياحٌ لفكرة أن حديثنا سيستمرّ لبعض وقت. قالت : «لعلّها إرَم ذات العماد مدينة قوم عاد المذكورة في القرآن.. يُقال إنّها تظهر وتختفي كما يحلو لها .. أرجو أن لا تكون كذلك حتّى يسهل العمل فيها.. إنّها تقع على طريق القوافل من ظُفار إلى الرّبع الخالي».

أشرب كلماتها مأخوذا ... الفارس الأفغاني أو البلوشي يتّخذ فجأة ملامحي وينطلق كالرّيح ضامّا السّبية إلى صدره وتمتزج في أنفه رائحة السّباسب بعطر النّعنع وأنفاس التّبغ... فجأة تظهر أمامه مدينة عالية الأبراج والأسوار ...

خجلت من الذّكورية الفجّة في الخاطرة الأخيرة . أخذني دوار متسارع وأراني تائها معها في مفازة على طريق «وبار». تمتمت : «لم يذكروا لنا شيئا عن هذه المدينة في دروس الجغرافيا... ومع ذلك ليتها تكون فعلا مدينة تظهر وتختفي لتغالط شغف الإنسان بالمنطق البارد والحقائق الحسّية. ليتني أصبح منقّبا عن الآثار وأظفر في النّهاية بمدينة تتوارى بمكر..». قطعت حديثَنا فترةُ صمت قصيرة استعضنا خلالها عن الكلام بالنّظر والابتسام. وصلت سيجارتها الثّانية إلى النّهاية فأطفأت عقبها في المنفضة قائلة : «من السّهل أن تصبح عالما للآثار ...أتركك الآن، طائرة سنغفورة ستقلع بعد نصف ساعة». قلت محاولا إخفاء جزعي لنهاية اللّقاء : «لولا إنّي من المدخّنين ما كنت سعدتُ بمعرفتك» . ابتسمت فبلغ وجهها منتهى إشراقه :

• لعلّي أحظى برؤيتك ثانية ... وأضافت : «قد نلتقي يوما في إرم ..أراك بخير!
• أراكِ بخير! ...

خرجت لودميللاّ بعد أن ألقت عليّ نظرة طفولية ضاحكة وخرج مسافرون آخرون فخفّ الازدحام داخل القفص. بقيت في مكاني رغم الجوّ المشبع بالدّخان، انظر ساهما إلى المنفضات الممتلئة أعقابا. دخل العون المكلّف بتنظيفها فابتسم لي بأدب فابتسمت لصورة لودميللاّ في خاطري . لا تزال بسمعي نبرتها المنغّمة ...لغة الضاد تنطقها شفتان من سنغفورة أمر مثير... لبثت ساهما للحظات أحاول تثبيت صورتها في خاطري. خرجت من منطقة المدخّنين أجرّ الخطو سائرا على غير هدى ... السّاعة الحادية عشرة والنّصف...رفعت بصري إلى لوحة الإعلانات وهي تشير إلى قرب إقلاع الطّائرة السنغافورية.

طارت النّشوة وبقيت مرارة بالفمّ. لا تزال أمامي ساعة ونصف قبل إقلاع طائرتي إلى بيروت. اتّجهت نحو محلاّت السّوق الحرّة وسط الزّحام إذ لابدّ الآن من شراء شيء ما للدكتورة رغم علمي مسبّقا أنّها ستقبله بحركة رخوة وابتسامة باردة ؛ من المؤكّد أنّها لن تعفيني من التّأنيب على نُدرة اتصالي بها هاتفيا خلال سفري ...

لعلّ لودميللاّ تتّخذ الآن مجلسها في الطّائرة الجاثمة على أرض المطار مسرّحة النّظر في البادية المسلوقة في مرجل الصّحراء.

أيّة هديّة لولدي مؤيّد الشّبيه في الملامح والسّلوك بجدّه حديث النّعمة ؟. ما عسى يعجب ذلك اليافع المدلّل الغارق في الهدايا، الحالم أبدا بالسيّارة السبورت التي لا يفتأ الجدّ يعده بها حال نجاحه، بعد سنتين، في الباكالوريا؟... هل أشتري له عدّة غطس لعلّه ينجذب إلى عالم البحر؟... ولكن أمّه ستظنّ أنّي أتعمّد إثارة قلقها على حياة الولد ... ربّما تعلّق على ذلك بعبارتها المعتادة: «قرفت من حديث الصّيادين وقواربهم! ».

لودميللاّ إسم أوروبي ... هل تكون خُلاسية ؟... لم تسعفني البديهة بسؤالها عن ذلك في حينه.

ماذا سأشتري لبَكْر الرّضيع الذي وُلد بعد أزمة نفسية توهّمتْ الدكتورة خلالها أنّها بلغت سنّ اليأس قبل الأوان؟ ... وبَكْر هذا له قصّة ! عند ولادته وددت تسميته «أبوبكر» وهو اسم المرحوم والدي فقامت قيامتها بحجّة أنّ الولد قد يُصاب في كبره بعقدة من هذا الإسم «البلدي». أصررت على موقفي وانزلقت هي إلى الإكتئاب فتدخّل أبوها ثهلان بالحسنى ووصلنا إلى حلّ وسط بطرح « أبو» وإبقاء «بكر»! .. الأمر أسهل مع ابنتي رباب التي بلغت الثانية عشرة منذ شهرين. اشتريت لها في هذه الرّحلة عقدا فضّيا من صنعاء اليمن. ستتعلّق بعنقي شاكرة وتذكّرني بوعدي أن آخذها إلى والدتي في قريتي السّاحلية بتونس ؛ سوف أجدّد وعدي لها وترفض أمّها متعلّلةً بأنّ الطّقس هناك ــ ولا أدري من أفادها بذلك ــ غير ملائم لصحّة البنت وننطلق في لجاج عقيم أصبح من أدبيّات بيتنا المملّة.

قالت لي مرّة : «لتزر أمّك بمفردك. أنسيت الطفح الغريب التي عانت منه رباب خلال زيارتنا الأخيرة ؟». أجبتها:

• لا ذنب لأمّي في الأمر... الطفح سببه تناول الفطر الذي طبختِه أنت بيدك...
• لا تكابر أكلنا جميعا الفطر ولم نشْك من شيء ... هذا رأي طبيّ! ...

قلت لها إنّ رأيها الطبّي محض ذريعة لقطع صلة أبنائي بجدّتهم. لم أفرغ من كلامي حتّى اعترتها النّوبة المعتادة وسقطت على الأرض شاحبة الوجه. في مثل تلك الحالة كنت أحملها بين ذراعيّ إلى حيث أمدّدها على السّرير حتّى تفيق من النّوبة وكانت تغتنم الفرصة لتئنّ في أذني معاتبة بأنّي لا أفهمها بل أكرهها وهي التي لا حبيب لها سواي، وينتهي بي الأمر إلى الاعتذار ... ياله من سيناريو ممجوج !...

فاجأتني ابنتي رباب ذات مرّة بقولها : «ألم يخطر ببالك مرّة أنّ ماما تمثّل عليك دورا» . قالت نهلة يوما إثر نوبة مماثلة وهي تمسح دمعة : «لماذا لا تأتي بأمّك لتقيم معنا في البيت ؟... الأولاد، بل نحن جميعا، نحتاج إليها»؛ أمسكتُ عن الجواب لمعرفتي الجيّدة بما تضمره... هراء ! .. ما حدث بين الحماة والكنّة لا لا يسمح بأيّ صلح بينهما حتّى تقوم السّاعة !

أتخيّل الطّائرة السّنغافوريّة وهي تنعرج الآن فوق مياه الخليج متّجهه بلودميللا نحو بحر العرب ...

#GRAND_TUNIS

102.5 Mhz
Sousse
Hammamet
Nabeul Sud
Zaghouan

104.4 Mhz
Kairouan
Sidi Bouzid
Kasserine
Seliana

89.4 Mhz
Monastir

91.6 Mhz
Mahdia
Sfax

FM

Jawhara

تابعوا "بوليتيكا"
على الجوهرة FM

من الإثنين إلى الجمعة من 12:00 إلى 14:00

www.Jawharafm.net

نصف ساعة من التّجوال في محلاّت السّوق الحرّة أرهقتني. لن أشتري بدلة غطس لمؤيّد ولن يكون رجلا على النّحو الذي حلمت به ... لن أجدّد وعدي لرباب بزيارة جدّتها وعليّ أن أخترع ذريعة لذلك لئلاّ أفقد اعتباري لديها... سأشتري حلويّات للجميع. ولكن كيف سأقضي السّاعة التي تفصلني عن الإقلاع ؟ . لو آكل شيئا. يوجد بالقاعة مطعم «ماكدونالد» ومطعم آخر يبدو حسن الخدمة. هممت بالدّخول إليه ثمّ أحجمت بسبب لودميللا التي أشرق وجهها فجأة في خاطري وكرهت أن أنشغل عنه بتقليب النّظر في قائمة الطّعام. واصلت التّيه وراء وهمي في القاعة المزدحمة. لم يكن لقائي بها مجرّد حادثة عابرة مثلما حاولت إيهام نفسي، بل لن يكون هيّنا بالمرّة ! سأعود إلى بيروت بصورتها المنشورة على أسوار مدينة تظهر وتختفي ولن يزيد ذلك وضعي مع الدّكتورة إلاّ توتّرا!

منذ ثمانية عشر سنة وأنا حبيس نظام نهلة : السّفر الجماعي إلى لندن في الرّبيع لزيارة أمّها الإنجليزية المطلّقة والمستمرّة مع ذلك في توجيه شؤون الأسرة عن بعد ؛ الإجازة صيفا في لبنان أوتركيا، ثمّ الرحلة الخاطفة بمفردي، في الخريف، إلى قريتي الساحلية في تونس التماسا لبركات الوالدة العجوز التي تقترب من النّهاية في غربتها القصيّة. الأسبوع القادم موعد عيد ميلاد صهري الكريم ثهلان... ثهلان إسم جبل وللرّجل من الجبل صفات ليس أقلّها الوعورة والقسوة ...سيكون عيدا للتّزلّف والرّياء يقيمه عملاؤه ومعارفه فيتبارون في تملّقه ناسبين له ما شئتم من كريم الخصال ورفيع الشمائل ممّا يندى له الجبين. حدث في إحدى تلك المناسبات أن أهداه أحد متملّقيه جوادا من عتاق الخيل راجيا منه أن يركبه ففعل وجال به حول حوض السّباحة شاهرا سيفا ذهبيّا تحت وابل من فلاشات المصوّرين. في الحفل القادم قد يهديه أحدهم جملا وكالعادة سينبهر المدعوّون بطلعته البهيّة ويمتدحه شاعر مأجور جاعلا منه رمزا فذّا للفروسية العربية. ستكون مناسبة لطيفة ليفقأ كبد الأعداء المجترئين عليه بنسبته إلى صُلُبَة البادية أكلة الميتة في الزّمن القديم. عليّ أن أقف إلى جواره ليلة الحفل ليقرع سمعي مردّدا أمام الملأ بأنّي صهره المقرّب من قلبه، بل ولده الذي لم تشأ الأقدار أن يُولَدَ له، مذكّرا ــ أمام الملإ دائما ــ بأنّ له صهرا آخر ابن عاهرة عطف عليه ورفعه بعد وضاعة وزوّجه ابنته الكبرى فأنكر معروفه وهاجر بحشاشة كبده إلى أستراليا.

سوف يؤجّر ليلتَها بآلاف الدّولارات مطربين ومطربات من النجوم ـــ الفقاقيع الذين تفرّخهم الفضائيّات ويُجري أنهارا من الوسكي في حديقة قصره المنيف ببيروت وتبثُّ مضخّمات الصّوت الأغنية التي ستُؤلّف وتُلحّن لمجده، مشيدة بكرمه وبذله المعونات للاجئي فلسطين، مبتهلة إلى الله أن يحفظ حياته كواحد من أكبر رجال الأعمال في الشّرق الأوسط ويكلأ بعين رعايته أمبراطوريته المالية المؤسّسة على التّقوى وعلى أحدث أساليب التّصرّف والمستندة إلى أخوّة المال الكونية وشبكات المصالح السرّية والمعلنة للاقتصاد المعولم.

لا أزال أذرع قاعة المطار طولا وعرضا . تنزلق عيناي على واجهات المحلاّت... السيّارات المعروضة... شاشات الإعلانات التّجارية ... دخلت كشكا للكتب والمجلاّت وبحثت دون جدوى عن أيّ شيء يتحدّث عن وبار أو إرم... أسفت لعدم وجود مطعم صيني أو تايلندي أو ياباني أطرد بمذاق مأكولاته الغريبة طعم الضّان بالبطاطس الذي طاف فجأة بفمي وأنا أذكر حماتي الإنجليزية التي سنزورها بعد شهر. في زحمة القاعة أصبحت أكثر انتباها للآسيويات ذوات العيون المشدودة، بل للآسيويين جميعا رجالا ونساء وأطفالا. كلّ هذا لا ينبئ بخير !. دخلت خواطري منطقة اضطرابات غريبة لم أعهدها من قبل ... قلّبتُ صورا تراكمت بداخلي عن الشّرق الأقصى ... سور الصّين.. حرب الأفيون... معابد بانكوك...اليكترونيات تايوان ... صور باهتة جمعتها من مطالعاتي أو من أسفاري المهنية ... ركام من الكليشيهات المستهلكة عليّ الآن الجوس خلالها لأنفذ إلى عالم لودميللاّ ...

اكتشفت مذهولا أنّني لم أعرف في حياتي حبّا حقيقيا. بوسعي الآن أن أثبت لكلّ النّاكرين لوجود الحبّ أنّه حقيقة باهرة تفجأ أيّ إنسان في أيّة لحظة من حياته ــ وإن كان ذلك في قفص مدخّنين بمطار ــ فتسقطه في هذاء صبياني جميل وإن شارف الأربعين مثلي... قبل ساعة كنت أحسبني رجلا واقعيّا خَبِرَ الدّنيا ونال نصيبه منها بمصاهرة شخص مهمّ مثل ثهلان. كنت رجلا ناجحا بمقاييس العصر، أعقد الصّفقات البترولية بالملايين لحساب صهري واحتمله بحكمة وصبر رغم عادته السّيئة في غسل وجه مخاطبه بطشيش لعابه. كان ذلك إلى اللّحظة التي دخلت فيه لودميللاّ عالمي الباهت فقذفتني إلى سباسب مراهقتي المنسيّة.
رنّ هاتفي الجوّال وكان المخاطب زوجتي نهلة :

• هالو أحمد كيف الحال ؟...
• الحمد لله ... كيف الأولاد ؟...
• طيّبون ويسلّمون عليك ... أنا أيضا طيّبة إن أردت أن تعرف ... «دادي» سألني متى تعود ...؟
• لا أعرف .. قد أبقى أيّاما أخرى ...
• خابرنا يا أخي، صار لك زمان ما اتّصلت.. لاتطل، الأولاد أزعجوني بالسّؤال عنك .
• من المحتمل أيضا أن أمرّ على «وبار»...
• حلوة القصّة ! .. سلامتها من تكون «وبار» ؟!
• لا تخافي.. إنّها منطقة حقول بترولية في الصّحراء ...
• أنا والأولاد ضقنا بأسفارك التي لا تنتهي... الأفضل أن تمسك إدارة إحدى الشّركات في بيروت... عند عودتك نحكي مع «دادي» ...
• لا داعي لإزعاجه.. لا أريد أن أمسك أيّ إدارة .. أفضّل التّنقيب في «وبار» ...
• نحكي عند عودتك... باي ...

أيّ قصّة هذه ؟ ... إنّي أتهيّأ للقفز فوق هاوية سحيقة ! ... قطعا أنا بصدد التّحوّل إلى شخص آخر وإلاّ لما أفضيت بذلك التّخريف إلى نهلة !... ما العمل ؟ ... هل أهاتفها بعد قليل مدّعيا أنّ مشروع الرّحلة إلى «وبار» قد أُلغي ؟ !... المفروض أن أخجل من كذبة بهذه الرّقاعة، ومع ذلك فهي ليست كذبة تماما، لأنّني أضرب الآن في سبل مجهولة في بعد خامس ..بينما كنت أسير بين إشهار ضخم لكوكا كولا وبين طابور سريلنكيين يغادرون مطعم الماكدونالد، لمحت طريقا حجريّة وعرة فسلكتها وكان في نهايتها مدينة تغرق في السّراب .. حثثت السّير إليها فرأيت على جانب الطّريق شجرة لبان عظيمة تنام في ظلّها أميرة حميرية مثقلة بعقود من الفضّة والعنبر... كفى! ... لن أترك الأميرة تتحوّل إلى لودميللاّ ولن يأخذني الوهم من نهلة والأولاد !..

فات الأوان!... الأميرة تستوي جالسة تحت الشّجرة وترمقني بعيني السّنغافورية وفجأة ينحشر في الصّورة وجه نهلة الأبيض ذو التقاطيع الجامدة... أطرده فيأبى التّلاشي وتقسو قسماته! ... ماذا أفعل بهذا الوجه المتطفّل على رؤياي؟! ... فلتبقي يا نهلة ولكنّك ستكونين وصيفتها وتغسلين رجليها تحت الشّجرة! ...

عاودتني الرّغبة في التّدخين فاتّجهت نحو القفص كطائر يحنّ إلى وكره. بدا لي قفص المدخّنين من بعيد مزدحما كالعادة. اندسست بين الواقفين. أحسست برعدة تهزّني إذ لمحت بينهم لودميللاً ساهمة النّظرات. اندفعت نحوها وانتصبت أمامها منعقد اللّسان مُتَدَافَع الأنفاس. انفرجت أساريرها وقالت بهدوء:

• تأخّرتْ طائرتي إلى موعد غير مسمّى؛ عاصفة رملية قويّة على المنطقة، ألم تسمع الإعلان ؟
• لا ...
• لو تدوم العاصفة فسنبقى هنا ساعات أخرى ...
• سيكون أمرا مزعجا بالنّسبة لكِ ...
• ليس بالضّرورة ... كنت على يقين أنّك ستأتي إلى هنا ككلّ مدمن... سعيدة بلقائك مرّة أخرى ...
ضممتها في خيالي وأنا أركض في سباسب وهمي البعيدة ... ما الذي يمكن أن أضيفه لدفع الحديث قدما...لا بدّ أن أتخيّر الكلمات ... استجمعت شجاعتي :
• قد يطول انتظارنا هنا.. ما رأيك لو نتغدّى ؟
• كنت سأعرض عليك ذلك ... لكن لا تأخذني إلى الماكدونالد !
• أكون عديم الذّوق لو فعلت.

دخلنا مطعما فطلبتْ القمبري المشويّ وطلبتُ رزّا مع الهامور . كانت تأكل وتتحدّث بنبرتها المنغّمة قافزة من العربية إلى الإنجليزية بخفّة سنّور مرح . تحدّثتْ عن مدرسة الكرمليات التي جفّفتْ سنوات مراهقتها؛ تحدّثت عن دراستها للّغة العربيّة بالقاهرة، عن ولعها بصوت ليلى مراد. وددت لو أظلّ مصغيا أبدا إلى موسيقى كلماتها المتناثرة كمطر ذهبي على جسدي المجدب. كنت من حين لآخر ألقي بملاحظة مقتضبة حتّى لا تتفطّن إلى انبهاري بمونولوجها الجميل . علمت أنّها من أمّ إيطالية وأب صينيّ الأصل واسع الثّراء وأنّ سنّها ثمان وعشرون سنة. استنفدت العبارات والألفاظ الإيطالية القليلة التي أعرفها في حديث أضحكها حتى شرقت بالطّعام وأخذتها نوبة سعال، ثم قالت : «أبدو لك ثرثارة ولكنّي في الواقع كثيرة الصّمت مثلك.» ثمّ أضافت مبتسمة بمكر :
• كيف استدرجتني بهذه السّهولة إلى المطعم ؟
• بل كان ذلك في منتهى الصّعوبة .. كاد يُغمى عليّ وأنا أدعوك إلى لغداء !
• صرت تعلم عنّي الكثير ولا أكاد أعلم عنك شيئا.. لو تحدّثني عنك ؟ !
• أنا ابن صيّاد بسيط من السّاحل التّونسي بشمال أفريقيا، ضللت الطّريق إلى البحر وأصبحت مهندس بتروكيمياويّات... عدا ذلك لا شيء يستحقّ الذكر...
• شمال أفريقيا ... لا أعرف من تلك المنطقة سوى طنجة ... مدينة جميلة بين البحر والمحيط ... ألا يزال والدك يشتغل صيّادا ؟ !
• بل مات منذ زمن بعيد ولكن قاربه لا يزال في فناء البيت تبيض تحته دجاجات الوالدة ... في مثل هذه الفترة من السّنة كنّا نصطاد أنثى سمك البوري ونجفّف بيضها ...
• القمبري ممتاز ... هل تذوق منه ؟

فاجأني منها هذا العرض ولكنّي أجبت مسرعا : «بكلّ سرور!» .أخذَتْ قطعة قمبري من طبقها ووضعتْها أمامي فرفعتُها إلى فمي في حركة بطيئة بينما ظلّت ترقبني مبتسمة. طافت بذهني طقوس المائدة الصّارمة في بيتي وخلوّها من الحبّ ... حبّذا لو تدوم العاصفة الرّمليّة إلى ما لا نهاية ... قلت هامسا: «قمبري مذهل لم أذق مثله قطّ !» كبحتُ جماحي كي لا أسترسل في مثل هذه المبالغات المضحكة وعرضت عليها بدوري قطعة هامور من طبقي. أصبحت المائدة حلبة ألعاب طفولية والحديث ذريعة لنظرات وحركات ذات دلالات غامضة.

في سياق الحديث أخبرتها بتفاصيل عن حياتي المملّة، عن شوقي إلى شطآن السّواحل الإفريقية، عن صبر أمّي وكدّها في تنشئتي، عن تجفيف الفلفل الأحمر منشورا على الجدران البيضاء في قريتي، عن زوجتي الدّكتورة وفشل حياتي معها، عن الأطفال، عن ثهلان وضلوعه في فضيحة بيع الخرسانة للجدار العازل في الضّفة الغربية؛ وصارحتني هيّ بنفورها من أساليب أبيها في إدارة أعماله، بكرهها للّبيرالية، بعشقها لصوت نصرة فتح علي خان وأنشدتني قصيدة «المستحمّة» ممّا حفظته من زمن الدّراسة في القاهرة.

جاوزت خطّا أحمر وشبّهت عينيها بعيني ذئبة فسرّها ذلك قائلة إنّ الذّئبة رمزٌ للأنوثة والأمومة عند الأقدمين. طبعا لم أفكّر في شيء من ذلك ومن أين لي معرفة موقف الأقدمين من الحيوانات ؟ ! جاوزت خطّا ثانيا وأمسكت بيدها فارتجفت كطائر حبيس ثمّ استسلمت في همود نديّ بين راحتيّ. مرّ علينا وقت لم أحتسبه، آل الحديث خلاله إلى جمل متقطّعة وعبارات مبتورة تكمّلها النّظرات الملتهبة في صمت، إلى أن أتى النّادل بورقة الحساب جالبا معه زمن المطار وأصداء إعلانات الهبوط والأقلاع ونبأ هدوء العاصفة الرّملية... طائرة سنغفورة تقلع بعد نصف ساعة وبعدها بدقائق طائرة بيروت ...بعد إطراقة واجمة رفعت لودميللاً بصرها إليّ :
• لا رغبة لي في السفر إلى سنغفورة والأفضل أن أعود إلى «وبار» .
• ألستِ في إجازة ؟ .. أنت في حاجة إلى الرّاحة .
• كنت أريد لقاء والدي السّيد تونغ لأسألهُ هِبةِ مالية لفائدة أشغال التّنقيب.. لم أعد أفكّر في ذلك .. في الواقع لا أعرف الآن أيّ وجهة أختار .. قد أُرافِقُ قافلةً بدويةً في رحلة إلى نجد أو إلى مدائن صالح...أو ربّما أصعد إلى مأرب لدراسة الكتابات الحميرية المكتشفة حديثا هناك .. أو..رحلة طيّبة سوف أفتقدك !
• أنا أيضا لم تعد بي رغبة في العودة إلى بيروت .. اشتقت كثيرا إلى رؤية والدتي.. الأفضل أن أسافر إلى تونس. قالت بأسى :
• لك أمّ تحنّ إليها، أنت محظوظ ..
أخذتُ يدَها بين يديّ وقلت : «لعلّك في حاجة إلى رؤية الشّاطئ الإفريقيّ.. بوسعك أنّ تنقّبي هناك كيف شِئتِ عن الصّدفات». ضغطتْ بكفيّها على راحتي وأشرق وجهها بابتسامة تلاشت في أَلَقِها بيروت وإرَم.

ع.لـ .

CAP FM
91,5 105,6 95,2
La 1ère Radio du Cap Bon...

LE B ON AIR EST SUR CAP Fm

Hkayet Ennes

Avocat, 7ofra, Baladiya, Mandoubia
El Kilma Lik , Cap El Khire

Cappucino

BCE, RG, HH, YC
#Borhen_Bsais #Moez_Joudi #Bilel_Beji #Abir_Dhouib

News

9999 j'aime
#Ines_Bouafif #Asma_Mouadeb #Safa_Ksila #jamel_Ferhi #Ihsen Ghazali

The Night Show

Baligh Hamdi, George wasouf, Ahmad Helmi
#Rami_mouch_bil3ani

Zéro Politique

7rayer Tounes, Astuce Beauté
#Amal_Ben_Mohamed

La Terrasse

Mustpha Dalaji, Zaza, Jaefer Gasmi, Wafa Boukil
#Houssem_Sahli #Oussama_Souiai

Awled El Cap

Bousbi3, Bnete, mark zuckerberg
M3a Ghazy w Malek sayeb hbalik

Sport

ASH, FCH, SM, COK, GS
#Moadh_Cherfi #Aymen_Sghaier #Chiraz_Bouchoucha

Adresse : Avenue Abu Dhabi 8050 Hammamet-Tunisie

91.5 fm 105.6 fm 95.2 fm radio cap fm www.capradio.tn 31 363 750

يوميّـــات مـــواطن عيـــــاش

عـــام مشـــى...وعـــام جـــاء

بقلم عادل الأحمر

كنت في سهرة عائلية، أحتفل برأس السنة الميلادية، (ولا أدري لماذا يسمّونها إدارية)، عندما هاتفني العياش وفي صوته نبرة غير عادية، فهمت منها أنه في نشوة خمرية. وبينما كنت أتوقّع منه أجمل التهاني، وأنتظر أحلى الأماني، فاجأني العياش بكلام عجاب، لم أفهم محلّه من الإعراب. قال لي دون مقدّمات : «أخبروني، بالله عليكم، ما سبب هذه الاحتفالات؟ وأجيبوا صادقين : بم تحتفلون ؟ بعام مضى « الكلّو محون»؟ أم بأمل خلاب ، يصوّره لكم عام جديد كذّاب؟ فكم من عام دخل وكم من عام خرج، وأنتم لا ترون بصيصا من الفرج ! تنظرون في أبراجكم مع بداية كل عام، وتلهثون وراء أضغاث أحلام، فإذا جاء آخر ديسمبر، كان الحصاد أقفر ! فبالله عليكم بماذا تحتفلون ؟ وعلى ما تغنّون وترقصون ؟ ألا تنظرون في حالكم، وتتساءلون عن سبب احتفالكم ؟».

وعندما حاولت أن أعارض صديقي العياش في أفكاره السوداوية، قاطعني بهذه الأبيات الشعرية، ولست أدري إن كان كتبها أم جاءت عفوية ارتجالية :

عـام مشى وعـام جاء ... وانـت عـايش بالمـنى
كمـون ومالقـاشي مـاء ... يستنّـى في مطرة زينة

عـام خـرج وعام دخل ... وانت عـايش ع الأمل
في لخّـر يطلـع بـصـل ... ولا قـرعة بوطـزينـة

عـام دخل وعـام خـرج ... واحنا نستنـى الفـرج
كـل دقيقـة وكـل درج ... ثمـاشي ما يطل علينـا

يدخـل عام ويخـرج عـام ... واحنـا في لذيذ الأحـلام
ما بين يقظة وبين منـام ... نلقى الدنيا طارت بينا

في كل عـام تقلي خيـر ... تو نطلع من قـاع البير
نعمـل جـوانـح ونطير ... كلام مدهون بالمرقارينة

بالله قـل لي واشبيـك ... راهو عمرك يجري بيك
اعرف راسك من ساقيك ... خير ما تقعد في تركينة

وعبثا حاولت إقناع العياش بأن التفاؤل هو مفتاح الأمل، ولعل القادم أحلى ولو كان موش عسل. فقد أكد صديقي تشاؤمه، منكرا على العالم تفاؤله، بل زاد على ذلك باتهام التونسي بأنه منافق خدّاع : ألم تر كيف يستقبل العام الجديد بقناع، قناع الفرح والسرور، ثم كيف يودّعه بقنـاع آخر لا بهجة فيه ولا حبور، يستقبله بالعوادة والهلّالو، ويودعـه وكأنه «ماكان والو»، ليستقبل العام الذي يليه ، شعاره في ذلك «الله ينصر من صبح ولّي مشى لا يكوّن فيه !». ولو كان العام الجديد رجلا، لنبهته من غدر البشرية، ولقلت له هذه الأبيات الشعرية :

يعيّش خويا حل عينيـك ... وخوذ كلامي يصلح بيـك
أعرف راسك من ساقيـك ... ما تصدقشي واحد فينـا

رانـا الليلة نفرحـو لك ... بالموزيكـة نعـرضـولك
وكي تمشي لكل نقولـولك ... ما أثقل دمّك بره علينـا

اليـوم تجينا بالـعز ... نذبحـولك دجـاح ووز
وكي تـوفى تمشي بالـدز ... بـره روّح فـك علينا

هكـاكه راهو البـشر ... يفـرح بيـك أول شـهـر
وفي لخّـر ما يطيقـو صبر ... وقتـاش بركه تمشي علينا

واغتنمـت صمـت العيّـاش لحظات، لأسأله دون مقدمات :

«ومن أين تهاتفني يا صاحب الطلعات؟»، فأجاب: «من نزل بالحمامات» فقلـت : «صحة ليك ياولد الإيه، يلّي تبيع القرد وتضحك على شاريه ! والله أنا هو المجنون وقد صدقت كلامك، وانت في الحمامات تغرم في زمانك ! تتفلسف لي على راس العام، و أنت جالس لاستقباله بين شراب وطعام !»، فأجابني العياش بهذه الأبيات :

«م الحكاية لكل هذيّـه ... ما تربـح كان السهـرية
اشرب وآكل وازهى شوية ... وإن شاء الله ليلتكم زينة»

وعلى هذا الشعر الملحون، علّق عليّ العياش التليفون، تاركا إيّاي لأفكار سوداء، أفسدت عليّ العشاء.

ع.ل

VIENT DE PARAÎTRE

En kiosque
& chez votre
# libraire

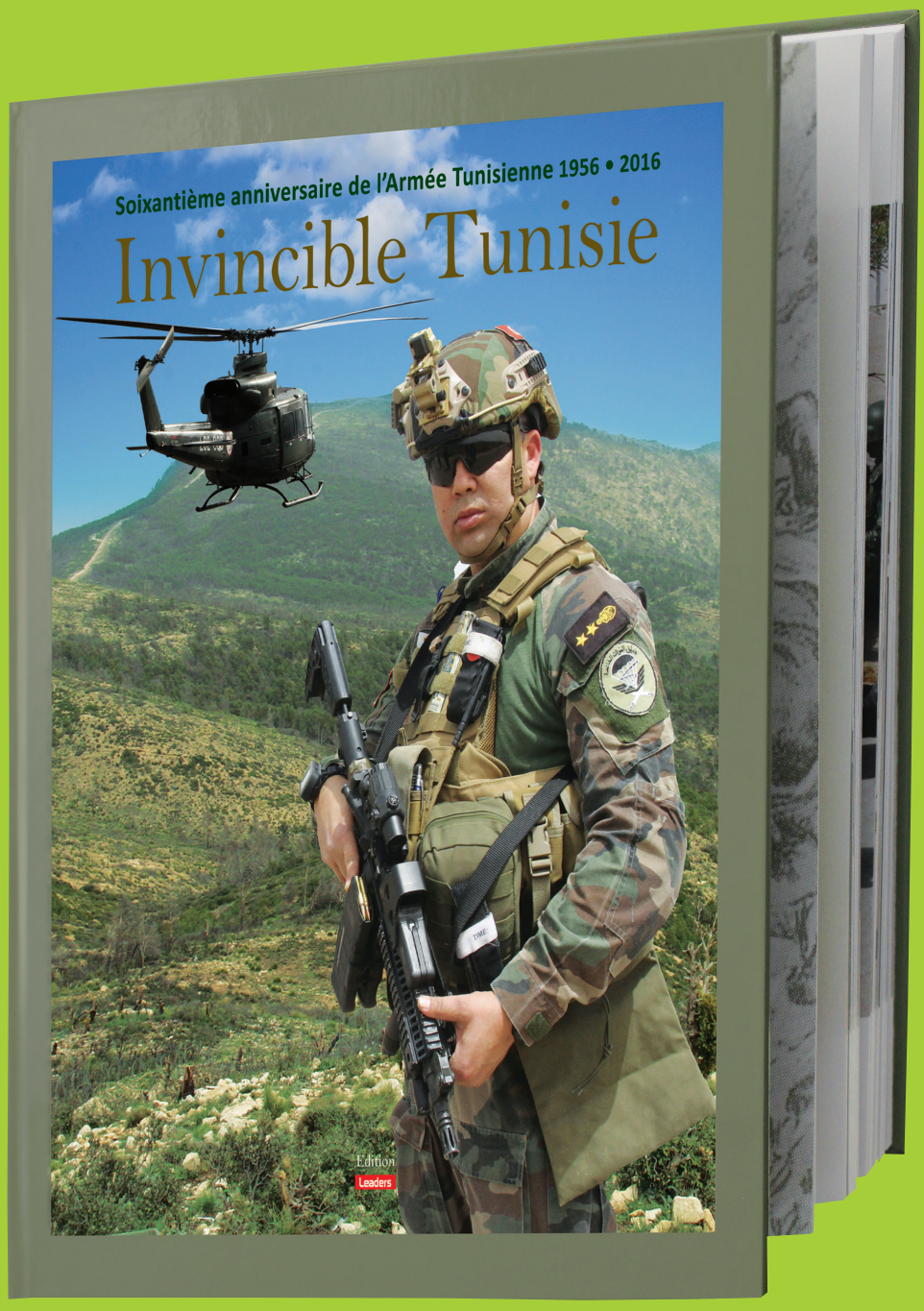

Prix unitaire
60 DT

Commandez directement

le nombre d'exemplaires souhaités
(port gratuit)*

(*)En Tunisie, par porteur ou Rapid-poste

COUPON D'ACHAT

Nombre d'exemplaires ..... **x 60 DT** **Total** .....

Nom et prénom ou Raison sociale :.....

Adresse de livraison :.....

.....

Code postal

Contact

Je joins mon règlement par

- ☐ Chèque bancaire
- ☐ Virement

CBB : TN59 08 008 000671001274071

Date et signature

Ennour Building, Cité des Sciences, BP 200
1082 Tunis Mahrajène, Tunisia
Tel +216 71 232 111 / Fax : +216 71 750 333
www.leaders.com.tn

عنـــق الزّجـــاجـــــة

جمهورية

عنـــق الزّجاجة؛ لعلّ هذه هي التّسمية الأنسب لهذا البلد العجيب؛ وهي ليست بدعة، أو سبقا؛ فقد كان هناك منذ قرن تقريبا، بلاد يُقال لها جمهوريّة عنق الزّجاجة. في عام 1918، وضعت الحرب العالميّة الأولى أوزارها، مفضيةً إلى معاهدة فرساي التي أسدلت السّتار على حرب، ورَفَعَتْه عن أخرى؛ وأعلنتْ تقسيمَ ألمانيا إلى أجزاء وأقاليمَ ضُمّت إلى دول الجوار؛ واحتلّ الحلفاء المنتصرون الضّفّة اليسرى لنهر الراين، جاعلين منها مناطقَ دفاعيّة بالأساس؛ وبسطتْ فرنسا والولايات المتّحدة الأمريكيّة سلطتهما على أجزاء كثيرة من المنطقة الغربيّة على حدود فرنسا وألمانيا؛ وبسبب أخطاء في الحساب والكيل، غفل المحتلّون عن شريط ضيّق يضمّ مدناً صغيرة؛ فما كان من أهالي ذاك القطاع إلاّ أن أعلنوا تأسيس دولة مستقلّة سُمّيت «جمهوريّة عنق الزّجاجة المستقلّة»؛ ولم تعمّر تلك الدّولة طويلا؛ فقد تأسّست في جانفي 1919 وانقرضت في فيفري 1923؛ وعلى امتداد أربع سنوات، صَكّتْ عُمْلتها وأصدرَتْ جوازاتِ سفر وطوابعَ بريديّة؛ ولكنّها ظلّت مقطوعة عن محيطها، فلا القطارات تتوقّف في محطّاتها، ولا البواخر أو الطّائرات ترسي وتحطّ؛ وكانت عمليّات التّهريب هي المصدرَ الوحيدَ لسدّ حاجات السّكّان هناك؛ وجاهدت تلك الدّويلة، بسكّانها الثّمانية آلاف، عساها تخرج من عنق الزّجاجة، فلم تفلح...

والعُنُق هو الرّقبة، وهو الوصلة بين الرّأس والجسد؛ ولا تستقرّ الحياة فيهما دون رقبة؛ والعنق، لأهمّيته، يُؤنّث ويُذكّر؛ وهو من الشّيء أوّلُه؛ والأعناق هم الرّؤساء... ولكثرة ما بِتُّ، أسمع على أيّامنا هذه عبارة «عنق الزّجاجة»، تشاءمتُ وتطيّرتُ؛ فعلى قول أهل السّياسة عندنا، عَلَقَت البلادُ في عنق الزّجاجة؛ وعُنُقُ الزّجاجة هو رقبة ضيّقة بين فوّهتها وجوفها؛ ولا أدري ما يُضمر أهل الحلّ والرّبط؛ أيريدون أن يسحبوا البلد إلى قاع الزّجاجة، أم إلى خارجها؟... حدّثني صاحبي مصطفى السّبري عندما كنّا نتقاسم غرفة في الحيّ الجامعي في أريانة أوائل السّبعينات من القرن الماضي عن صديقه فرحات؛ فقد سَكِر فرحات وأوغل في الشّرب وبالغ في الأكل؛ حتّى علقت لَحْمَةٌ في عنقه، وهو سكران لا يدري، فغصّ وانقطع نفسه؛ فوكز نديمه مستغيثا. قال مصطفى: «فضربتُ بجُمِع يدي على رقبته، حتّى مَرَقت اللّحمة من حلقه كالقذيفة، وهو يستردّ أنفاسه، يحسبها قلبَه طار من بين ضلُوعه، ويصيح: «قلبي! يا مصطفى، يا خُويا!».

في ليلة صافية مقمرة، انحنى رجل، يذرع الرّصيف طولا وعرضا، كأنّه يبحث عن شيء ضاع؛ ومرّ به جاره، فوقف ينظر إليه ويراقبه، ثمّ سأله: «هل تبحث عن شيء يا سي عثمان؟»؛ فردّ دون أن يرفع نظره: «مفتاحي ضاع منّي»؛ فثنى الجار ركبتيه وانحنى، يبحث معه، ثمّ سأل: «هل أنت متأكّد أنّه سقط منك هنا يا سي عثمان؟»؛ فقال: «كلاّ، لقد سقط منّي في حديقة البيت»؛ فاستغرب: «فلماذا تبحث عنه هنا إذاً؟»؛ فأجاب: «المكان هنا مضيء، نور على نور! هل تريد أن أنبش في الظّلمة، بين العشب والأكمات؟»... كثيرون هم الذين ينشدون الحقيقةَ في غير موضعها، وهي قريبة، قريبة جدّا، تكاد تعمي الأبصار!

ص.و.

بقلم الصحبي الوهايبي